الجمهورية الجزائريـــــــة الديمقراطية الشعبيـــــة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غردايـــة

كـــليـــــة الآداب واللّغات

قسم اللّغة والأدب العربي

سيميائية الشَّخصية المثقَّفة

في رواية حديث الصَّمت لأحمد بن محمد بكَلي

مذكّرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستـــر في اللّغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

- إعداد الطـــالبة: قلاع الضروس فوزية

لجنة المناقشة:

- **الأستاذ: د.** يحي الحاج امحمد — **مشرفـــا**
- **الأستاذ(ة):** رقـــاب كريمة — **رئيســـــا**
- **الأستاذ:** محمد جهـــــلان — **منـــاقشـــا**

السنة الجامعية: 1434-1435 هـــ /2013-2014 م

مقدمة

يعدُّ الأدب الجزائري كغيره من الآداب الأخرى، ميراث الأمّة الواحدة، ومستودع تراثها الزَّاخر، وحلبة لوجهات النَّظر والتَّطلعات، وقد تعددت ضروبه وفنونه، إذ شمل المسرح والرواية...، وتعدُّ الرواية في العصر الحديث، من أهم الفنون بدليل ما حظيت به من الاهتمام دراسة وتحليلا، ولكونها الأقرب إلى الجمهور بمختلف فئاته، بفعل تضمُّنها للمتعة والتَّشويق المغريين لملء أزمنة الراحة، وبفعل قدرتها على التَّحوُّل إلى أشكال مرنة تذكِّي حسَّ المتابعة عند المتلقي بمختلف أصنافه، وبفضل سعتها لاحتواء ومعالجة مواضيع مختلفة، ومن أهم عناصر الرواية الشّخصيّة، إذ تعدُّ نواتها ولحمتها الأساسيَّة وتمثِّل علامة سميائيَّة يرسمها الأديب والكاتب وينتقي نماذجها معبِّرا بها عن طبقة أو اتجاه ما، ومن النماذج التّي ينتقيها الكُتَّاب هي المثقف، الذي يعدُّ الضمير الحي لأمَّته، وركيزة الوعي فيه، وقد وقع اختيارنا لموضوع الشخصيَّة المثقفة، من خلال دراستنا الموسومة بـــــ:

سيميائية الشخصيَّة المثقفة في رواية حديث الصمت لأحمد بن محمد بكلي، وبالاعتماد على المنهج السيميائي لكونه منهجا لدراسة الدَّلائل يهتم بدراسة المحتوى أو المدلول عن طريق شكلنته أي دراسة شكل محتواه، ويقوم على دراسة ما هو سيميائي والذي يعتبر الخاصيّة الأساسية في دراسة الدَّليل، ولسعة المنهج السيميائي، وتعدّد آلياته، فقد اعتمدنا في التحليل على آلية التأويل، أما هدف البحث فقد تمثَّل في التَّنقيب عن الدَّلالات التِّي اتَّسمت بها الشَّخصيَّة المحورية والبطل في رواية حديث الصَّمت، والتِّي تحيل إلى المثقف، والمتمثِّل في الشّيخ لكونه اكتسب نصيبا من الثقافة والوعي، بما توفَّر في زمانه من وسائل ومجالات في عهد الكتاتيب، ليحاول البحث الوصول إلى سمات ومعالم هذه الشَّخصية وأدوارها المختلفة في مجتمعه وما نجم عن هذه المهام من ردود أفعال بين مساند ومعارض، وعواقب ايجابية وسلبية، وسوف نقصر البحث على الشخصية المثقفة، والفعّالة والمحورية، مع الإشارة إلى الشخصيات المحيطة بها، ونعتمد قدر المستطاع على طريقة فيليب هامون، في تحليل دال الشخصية المثقفة ومدلولها ، وطريقة جريماس في تحليل الأدوار العاملية المتصلة بالشخصية المثقفة، وينطلق البحث محاولا فكَّ الإشكالية الرئيسة التالية:

- ما دلالة الشَّخصيّة المثقفة في رواية حديث الصَّمت؟

ليتناول المبحث الأول دال الشَّخصية المثقفة وتواترها في النَّص السردي، وهي أوّل عتبة للولوج إلى عالم الشخصية، وكذا مدلولها الذي يبرز علاقة الشخصية المثقفة بالشخصيات الأخرى، والسّمات المميّزة لها، ويليه المبحث الثاني ليتناول البناء الداخلي والخارجي للشخصيَّة المثقفة، ليعطينا صورة سطحية وعميقة عن هذه الشّخصيّة، ويليه المبحث الأخير ليتناول مستويات وصف الشّخصية المثقفة، والأدوار العاملية المتّصلة بها.

لتكون الدراسة قد تتبَّعت مسار الشخصيَّة المثقفة الرئيسة والفعَّالة في الملفوظ السردي، وذلك انطلاقا من دالها ومدلولها، لتعطينا صورة عامة عنها، وتتعمَّق في وصفها الخارجي والداخلي، وتحدِّد أدوارها العاملية، وعلاقاتها بالشخصيات الأخرى.

وقد واجهت البحث صعوبة وحيدة لم نملك حيالها حولا ولا قوة، وهي الظروف التي اعترت ولاية غرداية، من الفتنة وقلة الأمن والاستقرار، ولا تزال تشكو منها إلى حدِّ الآن، إلا أن ذلك لم يُثْني العزيمة عن إتمام هذه الدراسة بعون الله وتوفيقه.

وفي الأخير نتقدّم بالشكر الجزيل لأستاذنا الكريم يحيى حاج أمحمد الذي رافقنا في درب هذه الدراسة، كما أن شكرنا موصول إلى كل من أسهم بيد بيضاء من قريب أو بعيد، في تشييد مشروع هذه الدراسة، كمالا ننسى أن نسدى جليل الثناء والعرفان إلى كل أساتذتنا في كلية الآداب واللغات بجامعة غرداية.

تمهيد

إن لكل مجتمع بشري في هذه المعمورة طرازا خاصا من الثقافة، قد يتواءم مع نده من الثقافات الأخرى المجاورة لها أو البعيدة منها، فتبرز قواسم مشتركة تحقق التكامل معها، أو الاختلاف لوجود مفارقات موضوعية تتعارض فيها وتتصادم، كما يقع بينها التَّأثير والتَّأثُّر.

والثقافة ليست نظاما عالميا أو مظهرا حياتيا مطلقا يهيمن على كل الأمم والشعوب، وإنما هي نظام فرعي مبني على أسس موسومة بآليات معينة، وسمات مصاغة وفق مبادئ حددت ضمن إطار قيم يضم كل ما اتصل بسلوك جماعة من الجماعات-في كلِّ ما يخُّصها- في أفراحها وأتراحها وآدابها ومعتقداتها وعاداتها، والمثقف يعدّ فردا منها، ومُمثلا لها، وبَصمة من كيانها، ولسانا ناطقا عنها، إذ يتمثّلها ويحمل أسُسها وقيمها، والمثقف إنسان يحمل معرفةً وعلمًا ووعيًا ومواقف حضارية عامة، إذ يمثلها بعقله وضميره ووجدانه معا، اتجاه الحياة السياسية والاجتماعية لعصره لكونها الضمير الحي لمجتمعه وأمته، فقد جسَّدته ثلة من الروايات- والأدب عموما- وصوَّرت سماته المميَّزة وواقعه، وعقد لذلك الكُتَّاب دراسات تناولت هذه الشخصية، في الروايات التّي اهتمَّت بها، على اختلافها، وانطلقت منها، فتتبعت مسار المثقف وتعرضت لسماته الخاصة ومختلف مفاهيمه، ونظرتها إليه، لكون المثقف يُمثِّل شريحة اجتماعية، ومُثل وقيم خاصّة...استهوت عصبة من الدارسين فخطوا عنها، وأنطقوا لسان حالها.

من خلال بحثنا الموسوم بـــ: سيميائية الشخصية المثقفة في رواية حديث الصمت، للمؤلف أحمد بن محمد بكلي وهو من مواليد 1944 بمدينة العطف ولاية غرداية، وقد تلقى تعلمه الإبتدائي في مسقط رأسه، ثم انتقل إلى مدينة القرارة بولاية غرداية ليواصل تعلمه الثانوي في معهد الحياة لينهل من معين المجتمع الميزابي ويتعرّف على كيانه، ثم ينتقل بعد ذلك إلى الجزائر العاصمة ليواصل تعلمه بجامعة الجزائر وينال شهادة ليسانس آداب من قسم الفلسفة، ليتقلّد بعد ذلك عدّة وظائف كالتّدريس والإدارة ليتفرّغ في الأخير إلى هوايته وهي البحث والكتابة والتّرجمة، نجد دراسات سابقة قريبة من دراستنا ومن بينها الدراسة التي قام بها الطاهر بن يحيى تحت عنوان واقع المثقف الجزائري دراسة لرواية تجربة في العشق للكاتب

الجزائري الطاهر وطار، إذ كشف عن واقع المثقف الجزائري وأزمته، بدراسته لرواية تصوّر هذه الحالة وهذا النموذج من الشّخصية من خلال منهج جدلي يربط الأثر الأدبي وخصوصا الفن الروائي في علاقته بالواقع، كعمل إبداعي يتميَّز بقدرته على استيعاب كل التناقضات داخل الصراع الاجتماعي والقومي، ويُظهر تأثر الرواية بالتاريخ، وأزمة حزيران1967 إذ أثرت على النخبة المثقفة خصوصا وجعلت من البطل لا يستطيع تحقيق هدفه، وجعل من الشخصية المحورية مفككة مفرَّقة في همومها الذاتية وعزلتها وعجزها، عن الفعل والتفاعل مع العالم الخارجي، رغم كونها شخصية محورية، ثم إنَّ كلَّ هذا أحْدث لها إحساس بالجنون والهذيان، وأوْدى بها إلى تفكك إلى حد التَّلاشي، لتعبِّر بذلك عن ما تقاسيه من قيود الجهاز السُّلطوي وملاحقة المثقفين، والمثقف بذلك يعبِّر عن حالة اجتماعيه وإنسانية عبر حالة فردية هي حالة المثقف الجزائري، إبان مرحلة الستينيات والسبعينيات ومرحلة الاستقلال الوطني والثورة الوطنية الديمقراطية، وحالة البناء الوطني، والمثقف من موقف المُسْهم في هذه التَّحوُّلات الاجتماعية وما اعتراها من سلبيات، وفي ظلِّ التَّجربة التّي خاضها المثقف في محور علاقاته المختلفة مع الحزب والسُّلطة...وكانت هذه العلاقة دائما يحكمها الصراع واللاَّتفاهم، بين طرف يحاول التَّغيير وهو المثقف، وآخر يحاول المحافظة بقوَّة القمع على ما هو كائن في سلطته، واصطدام إرادة التّغيير بصلابة الواقع تجعل المثقف ينْعطِف وينْتكس ويُعوِّض إحباطه النَّفسي من خلال انحرافاته السلوكيَّة، ويتجاوز ذلك إلى إصابته بالجنون كنتيجة لعجزه وإحساسه بحالة الاغتراب، ويبلغ أقصى درجات الإحباط، وهي حالة الجنون فيفقد عقله، والعقل نعمة وخاصية تميِّز الإنسان عن باقي المخلوقات الأخرى، وتمَنَحُه قدرا ومكانة في الحياة[1].

ومن الدراسات السابقة التّي استحضرت صورة المثقف وتعاملت مع موضوعه بتفاعله مع الوضع الاجتماعي المغربي الدراسة التي قام بها الدكتور أمين الزَّاوي والموسومة بصورة المثقف في الرواية المغاربية، فقد تتبَّع صورة المثقف، وعرض نماذج

[1]- ينظر، الطاهر بن يحيى، تجربة في العشق للطاهر وطار، منشورات التبيين/ الجاحظية، الجزائر- الجزائر، (د.ط)،2003، ص،4- 13، 40- 71.

عديدة له، وتعرَّض بداية لصورة المثقف القبلي في الرواية الموريتانية، فهو مثقف منسجم فكريا مع البنية الاقتصادية الإقطاعية الصحراوية، لينتقل منه إلى المثقف البورجوازي الذي يحتفي بالمجد التاريخي للطبقة التي ينتمي إليها، وما تقدِّمه من تضحيات لخدمة الحركة الوطنية، وتلى ذلك الحديث عن المثقف الاصلاحي، وما قام به من تحد ومواقف، حيال فكر المثقف السَّلفي، ليَعْبُر منه إلى موقف المثقف من المصالحة مع الواقع، إذ تمثَّل بين مقْبل ومُدبر، وهذا في عصر الاستقلال الوطني، وتحقيق السُّلطة المغاربية، وتحدَّث عن الحضور الكثيف للمثقف الفقيه، في ذلك العهد، والأسباب التي ساعدت في ذلك، الذاتية منها والموضوعيّة.

وبعد عرض الروائي أمين الزاوي لثلة من نماذج المثقف- إن صح التعبير- تعرّض للموقف الانتقادي الذي يُمارسه المثقف في مواجهة ذاته ومجتمعه وتاريخه، وحيال دولة الاستقلال، متمثلا دوره في التّنقيب في رحاب تاريخه عن علل التَّردي الذي وَصم مختلف المجلات الاجتماعية والثقافية...لمجتمعه، ليعقب ذلك بالحديث عن الخطابات التي أبدعها المثقف حول العلاقة مغرب/ مشرق، وقبل كان صوت المثقف لا يتجاوز حدود الخطاب الديني والحضاري والتراثي، وبتطوُّر الوضع العربي، وبروز مشكل الصراع الفلسطيني...كان حديث المثقف سياسيا، هدفه التَّنقيب عن العجز العربي/ المغاربي، وما نتج عنه من أزمات بداية من الأسرة، التي تحدُّ من سعة الطاقات الناشئة، مما تنتج مثقفا مهزوما منطويا على ذاته، مما يَفْرض الوضع تكوين مثقف قومي يتجاوز الولوع بالغرب، أو القطيعة التّامة معه، وبصورة عامة يرى أن المثقف هو منتج للايدولوجيا وخزانها، ولا يكون معزولا عن المجتمع، وله موقف مصالحة وقبول لواقعه فيكون منسجماً مع سلطته، أو موقف معارض ونقدي ويرى الدّارس انّ يُعتبر المثقف صوت مركزي في كل رواية، وبطل الرواية العربية والمغاربية هو المثقف، وهو نفسه الروائي[1].

بعد هذين النموذجين إرتأيت أن أعطي صورة على نموذج من غير المجتمع الجزائري وهو المجتمع المصري لاعطاء مساحة أكبر عن صورة المثقف ولهذ اخترت دراسة للدكتور عبد السَّلام الشاذلي تحت عنوان شخصية المثقف في الرِّواية العربية الحديثة بمصر(1834-1952)

[1]- ينظر، أمين الزاوي، صورة المثقف في الرواية المغاربية المفهوم والممارسة، دار النشر راجعي، الجزائر- الجزائر، (د.ط)، (د.ت.ن)، ص 15، 17، 19، 571- 576.

وإن كانت محدَّدة بجنسيتها المصرية، فإنّها تمثِّل الواقع العربي ونقاط الالتقاء العديدة فيه والجزائر شَطر منه، كما أنَّها ستعطينا صورة أوسع لماهية المثقف، وقد تناولت الدراسة حشد من النَّماذج المثقفة مستعينة بالاستقراء التّاريخي والتَّحليل النَّقدي لمعالم تطوُّر شخصية المثقف، فقد عرضت الدراسة، طراز كل شخصية بمميِّزاتها ومعالمها النَّفسيّة والفكريَّة ومقارنتها بالشّخصيات الأخرى، لتَتمايز عن الشخصيات الأخرى، لكون التَّقاطع العميق بينها والشَّخصيات الأخرى يصعِّب ذلك، وتعرّض الدَّارس إلى شخصية المثقف والتَّطور التَّاريخي لها، من خلال الإنتاج الرِّوائي الممتد من بداية القرن التاسع عشر حتَّى منتصف القرن العشرين، وحتَّى يكون تحليله موضوعي فقد قسَّم دراسته إلى اتجاهات ثلاث تُمثِّل مدارس أدبية، وسمَّى بها الروايات التي قام بدراستها:

أ)شخصية المثقف في الرواية التَّعليميَّة، إذ يظهر فيها المثقف إنسان علم ومعرفة يخوض معرفة التَّعرف و الإدراك لعالم جديد، إلاّ أنَّ جوانب من شخصيته حوَت معالم شخصية مفكِّر تقليدي.

ب)شخصية المثقف في الرواية الرومانسية إذ يظهر فيها المثقف إنسان علم ومعرفة، وموقف حضاري عام، وإنْ غلبت عليه صفة الشَّاعر أكثر من الواقع، فكان إنسانا غارقا في أحلام ومُثُل عُلْيا متنوِّعة.

ج)شخصية المثقف في الرواية الواقعية ظهر وكأنَّه العالم المشرِّح لأمراض مجتمعه، والمشرِّع لطرق علاجها، يتَّسم بطموح وشوق للانتقال من عالم الحلم أو الخيال إلى عالم الواقع.

ثم استقطب الروائي أمين الزّاوي أهم المشاكل التِّي تعتري درب المثقف، فقد نشأ أغلب المثقفين في المجتمع المصري في بيئات اجتماعية فقيرة، سواءاً كان في الرِّيف أم في المدينة، مما وجدوا صعوبة في إغناء أنفسهم بالمعرفة ودفعهم إلى تضحيات، فقد تعرَّضوا للكبت والقهر السياسي من طرف الاحتلال التُّركي والانجليزي، كما اتصفوا بالشعور بالقصور أو النُّقص اتجاه الحضارة أو الثقافة الأوربية، ورافق ذلك شعور المثقفين المصريين بالاستعلاء اتجاه أغلبية مواطنيهم في الغالب الأعم، فالمثقفون في المجتمع المصري

خلال الفترة الزمنية لهذه الدراسة كانوا يمثّلون أقلّية نادرة، في وسط هائل من البشر، تبدو للمثقفين وكأنّها لا تملك لا ثقافة ولاطاقة...، فقد صوَّر المثقف المصري منذ جَيْل الطهْطاوي وانطباعاته عن الحضارة الأوروبية الحديثة، حتَّى جيل نجيب محفوظ، من خلال حديثه عن المثقف وواقعه، عبر رحلة طويلة للأجيال المثقفة، والتّي توحي إلى تقارب كبير مع الواقع العربي ككل[1].

لقد صورت الدراسات السابقة، شخصية المثقف في صور شتى، ورسمت لنا سماته وخصائصه وواقعه وآفاقه، إذ هو يتأثّر ويُؤثر سلبا وإيجابا، وهذا تبعا لما تحكي عنه الروايات التي وقفت معها الدراسات السابقة، والتي قد تعبِّر عن عصر كاتبها، أو طموحاته وآماله.

[1]- ينظر، عبد السَّلام الشاذلي، شخصية المثقف في الرِّواية العربية الحديثة مصر(1834-1952)، ص16، 19- 22، 24، 402- 403، 406.

المبحث الأول : دال ومدلول الشخصية المثقفة

إنّ الشّخصية هيأة فريدة لا مثيل لها دقيق في الميدان الجسماني، وهي كيان فعّال دائم، وضَرْب من التّماسك الظّاهر لدى الفرد، وهي من أهم عناصر«الفعل السردي»، وتحيل على كائن حي، يُفضي إلى الإنسان خصوصا، ولا تتعلّق بالأدب فحسب، بل حتّى بعلم النّفس؛ وعلم الاجتماع، وهي «علامة» لكنها فارغة وبياض دلالي لا تكتسب قيمتها إلا من خلال اتساقها داخل نسق وسياق محدّد لكونها «كائنات من ورق» على حسب قول بارث[1].

1. دال الشخصية المثقفة

إن الشّخصيّة من أبرز العناصر التي تقوم عليها الرواية فهي محرك للأحداث، وخيط رفيع يشدُّ أواصرها، وتعدُّ« مورفيم فارغ، أي بياض دلالي، لا تحيل إلا على نفسها، إنها ليست معطى قبليا وكليا»[2] ويتجلّى هذا المورفيم الفارغ «...من خلال دال لا متواصل ويحيل على مدلول لا متواصل فكما المعنى ليس معطى لا في بدية النّص ولا في نهايته، وإنما يتم الامساك به من خلال النّص كله، كما يقول بارث...»[3] وللوصول إلى تصوُّر عام للشَّخصيَّة الرِّوائية، يتطلَّب إمعان النَّظر في كلِّ ما يتَّصل بها من معطيات ومستويات، سطحيَّة وعميقة، من خلال دال الشَّخصيّة الذي يسْفر عن خصائص الشَّخصيَّة ويجعلها قابلة للإدراك، فدال الشّخصية يعدُّ أوَّل عتبة ومدخل لمعالم الشَّخصيَّة وتحوُّلاتها المختلفة عبر مسار الرِّواية، ويضمُّ دال الشَّخصيّة الأسماء والضمائر.

1.1 الاسم: هو أوَّل العلامات الدالة على ذات الإنسان وهويَته، والاسم من الوسم والسِّمة يتميَّز بها الشيء ويُعرف، والوسم هو العلامة[4]، والاسم هو ما دلّ على

[1] -ينظر،فيليب هامون سميولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، دار الكلام، الرباط- المغرب،(د.ط)، 1990، ص8.

[2] - نفسه، 9.

[3]- نفسه.

[4] – ينظر،الزبيدي، تاج العروس، تح.عبد الصبور شاهين ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، الكويت ط1: 2001ج38: 305-306.

معناه دون حاجة إلى قرينة تدلّ عليه[1]، وهو من أقسام العلم الذي يضمّ اسم وكنية ولقب، وهو ما وضع من البداية ليدلّ على الذات نحو محمّد[2]، ولكون الاسم علامة فهو يُشكِّل مِفتاحا مهما، ويُعدُّ «مكثِّفًا لمحمول» الشخصيّة، ومحرِّكاً أساسيًا لها، ويملك «وظيفة التأْشيير» على الشَّخصيّة، ويهيؤنا لقراءتها[3]، لكونه يمدُّنا بعون لتفكيك الشَّخصية والوصول إلى كنهها، وضبط معالمها، وتحديد محورها، الذي يتنامى والأحداث، ويُحدِّد هويَّتها، فهو أشبه بأمارة تحيل إلى مغزى الشَّخصيَّة، ومدخل أوَّلي«ونقطة ارتكاز النَّص ونواته»، وبمعرفة دلالته يكون العبور إلى النَّص سهلا يسيرا[4]، ثم إن «اسم الإنسان وشم يَسِم شخصيته طوال عمره، ويتَّحد به فيختصر سماته ومزايا ويطبعه بطابع خاص يميزه عن أقرانه...»[5]، وعن الشّخصيات الأخرى في الحياة وفي الرِّواية، ويساعد القارئ على تتبُّع مسار الشّخصيّة وأدوارها في وسط تنوُّع الأحداث، وتعدُّد الأدوار، كي يتساوق القارئ وتلك الأحداث، ولئلا تختلط عليه الشخصيات، وهو يُتابع مَدار الحكي، لذا يَعمد الروائي إلى تمييز كل شخصيّة عن الأخرى، باسم خاص، إضافة إلى دورها الوظيفي المحدَّد، فبمجرَّد إيراد اسم علم ما يُذكرنا تلقائيا بالحكي السابق عن الشّخصيَّة، ثم إنَّ «تعيين اسم للشخصية الروائية يبقى فعلا من أفعال الإرادة، ومجرَّد اختيار الاسم يُؤشِّر على سلطته وبلاغته، مادامت كل شخصية ترتبط بحدث أو موقف[...] والشّخصيّة الروائية كعنصر أساسي للنَّص تصبح باسمها تلعب دورا مرجعيا ورمزيا[...] ثم إنَّ عملية تعيين الاسم إراديَّة ليُصبح الاسم بذلك معينا متحرِّكا فاعلا غير جامد»[6]، ولأهميّة الاسم في العمل الفنِّي«...فعادة ما يقف الكاتب عند اختيار اسم معيَّن ويُجرب عدَّة أسماء قبل أن يستقر على اسم بعينه»[7].

---

[1]- ينظر،السّيد أحمد الهاشميّ، القواعد الأساسية للغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (د.ط)،1354، ص16.

[2]- ينظر،السابق، 88.

[3]- ينظر،عبد الله محمد الغضيبي، النَّص وإشكالية المعنى، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر- الجزائر، ط1،2009، ص.

[4]- ينظر، نفلة حسن أحمد، التحليل السميائي للفن الروائي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية- مصر،(د.ط)، 2011، ص47.

[5]- سوزان عكاري، موسوعة الأسماء العربية ومعانيها، دار الفكر، بيروت- لبنان،(د.ط)(د.ت.ن)، ص: 5المقدمة.

[6]- بن الطاهر يحيى، واقع المثقف الجزائرفي رواية تـــجربة في العشق للطاهر وطار، واقع المثقف الجزائري، 8، 10.

[7]-فيليب هامون، سميولوجية الشخصيات الروائية، تر سعيد بنكراد، 10.

ونلمح من خلال استقراء نص الرواية، أن الاهتمام كان مُنْصبا على الشَّخصية المحوريَّة دون غيرها من الشَّخصيات الأخرى، مما يوحي إلى استحقاق الانتباه لكونها الحالة التي بُنيت على أساسها الرواية، فقد تتبَّعت مسارها من لحظة ميلادها إلى بلوغها مكانة سامية في مجتمعها الصّغير، وقد تميَّزت هذه الشَّخصيّة باسم علم مفرد، وهو اسم الشَّيْخ ويعني لغة «رَجُل شَيْخٌ بيِّن الشيخوخة، ويجمع على شيوخ...»[1] و«الشَّيْخُ: الذي استبانت فيه السِّنُّ وظهر عليه الشَّيْبُ: وقيل شيخ من خمسين إلى آخره[...] وشيَّختُه: دعوته شيخا للتبجيل»[2] و«الشيخ:[...] ذو المكانة من علم أو فضل أو رياسة، وشيخ البلد: من رجال الإدارة في القرية ودون العمدة...» [3]وباعتبار«العمدة: ما يعتمد عليه[...] رئيس العسكر- و- رئيس القرية أو المدينة...»[4]، فنجد أنَّ هذه المعاجم قد أجمعت على أنّ اسم الشَّيخ مما يُطلق عليه المتقدّم في السِّن، وهذا ما لا يتواءم مع محور الشخصية المحورية، إذ يُمثِّل جزءا من حياتها عند كبر سنِّها، لكون الاسم تعلَّق بالشَّخصيَّة ورافقها منذ صباها، فهذا يحيلنا إلى الدلالة الأخرى للاسم، إذ يرد أيضا للتبجيل، ويُصاحب ذو المكانة والعلم والفضل والرِّياسة، وهي تتناسب مع ما أسند للشَّيْخ من مسؤوليات ومواقف، تُسْفر عنها حواراته الداخلية، والخارجية مع غيره من شخصيات الرواية.

كما أنَّ اسم الشيخ لم يأت اسم علم كبعض الشخصيات المتداولة في الرواية، إذ يكون اسمها اسم علم مضاف إلى علم الجنس كالشيخ، وهو من أقسام العلم باعتبار الاستعمال، إذ منه المرتجل والمنقول، وهو ما نُقل من شيء سبق استعماله فيه قبل أن يكون للعلمية، والنّقل يكون عن مصدر، أو عن اسم جنس كأسد[5]، وشيخ، مثل

---

[1]- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، دار لكتب العلمية بيروت- لبنان، مجلد2، ط1: 2003، ص370.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، تح.عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلميَّة، بيروت- لبنان، ط1: 2005، ج2، ص235.

[3]- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، استانبول- تركيا، ط2: 1972، ج1، ص502.

[4]- نفسه، ج2، 626.

[5]- ينظر، السّيد أحمد الهاشميّ، القواعد الأساسية للغة العربية، 88 .

الشَّيْخ دحمان أبصير أستاذ الشَّيْخ[1]، والشيخ عبد العزيز[2] الذي جمع غزارة العلم، وذاع صيْته في الآفاق[3]، فمن خلال هذين النَّموذجين لاقتران العلم الجنسي، باسم العلم و«يشبه أيضا النّكرة في المعنى من حيث أنه لا يخصُّ واحدا بعينه فكل أسد يصدق عليه أسامة مثلا»[4]، والعلم يعين مسماه مطلقا من دون قيد: محمد، وحكمه في المعنى حكم النكرة، أمّا الحكم اللفظي فلا يضاف ولا تدخله الألف واللام، لأنه معرفة [5]ولهذا الاسم نفس الأحكام المعنوية لاسم العلم إذ يدلُّ على معيَّن بذاته، كأن يكون اسما لبشر أو غيره، وكذا له نفس الأحكام اللفظية لاسم العلم إذ لا يُعرَّف بأل التّعريف، وبحضور الشّخصيَّة المحوريَّة الشَّيْخ، نقترب من إدراك الدَّلالة التي يكنُّها هذا الاسم، فقد اكتسبته الشخصية كنتيجة لمواقفها داخل علاقات معيَّنة، بالأحداث والشَّخصيات الأخرى في الرواية، فاسم الجنس العام في الرِّواية يقترن إما بشيْخ العشيرة أو كبير حلقة أو زاوية أو حكيم القوم أو المعلم والعالم، وهو بارتباطه بالشَّخصية المحوريَّة، يوحي ربما إلى دلالة المعلم وحكيم القوم، لا غير ممَّن له وظائف أخرى، ولا حتَّى لكبير السِّن- بدليل المهام المنوطة بالشيخ- وربما يحيل عدم إضافة اسم علم للشخصية المحورية الشَّيْخ ليتمايز بين الشيوخ الآخرين في الرِّواية، وليتفرَّد عنهم، لأهميَّته، ولدوره الفعَّال في تحريك أحداث الرواية، وهذا ما يبرز موقفه في رحاب الرواية، فكلمة الشيخ تؤشِّر على سلطتها من خلال مواقف الشيخ عبد العزيز، والذي يُعتبر شخصية مرجعية، ومن خلال المستوى المعنوي والنفسي للشيخ، إن يحظى باحتفاء الناس به، والانتهال من معين عمله وحنكته، فيظهر أنه المتعقل الحكيم والمرشد اللبيب، بينما باقي الشخصيات المحيطة به تظهر متوترة، وتَفْتقد للكثير من الحكمة والوعي، باستثناء الشخصيات التي اقترن اسمها بلفظ

---

[1]- ينظر، أحمد بن محمد بكلي، حديث الصمت، دار القصبة للنشر،الجزائر- الجزائر،(د.ط)، 2006،ص 45.(من الآن وصاعدا تكون الاحالة على لفظ: الرواية و رقم الصفحة).

[2]-هو الشيخ عبد العزيز الثميني يلقب بضياء الدين(و1130ه/1718م- ت1223-1808م) ولد بمدينة ببني يزجن بميزاب كان معلما ومصلحا في مجتمعه، لقي الكثير من الأذى فتفرّغ للتدريس الفتوى والتأليف فأثرى المكتبة بانتاجه الثري، ينظر، جمعية التراث لجنة البحث العلمي، معجم أعلام الإباضية، المطبعة العربية،غرداية- الجزائر، ط1: 1420/1999، ج3،ص، 532-533.

[3]- ينظر،نفسه. .

[4]- السّيد أحمد الهاشميّ، القواعد الأساسية للغة العربية، 91.

[5]- ينظر: ياسر خالد سلامة وآخرون، النحو العربي الميسر، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن، ط1: 2005، ص، 20.

الشيخ، والتي تطلُّ من حين لآخر لتُسْهم في تحريك ثلة من الأحداث لبعض جوانب الحياة في القرية، فالروائي سلّط الضوء بعمق على شخصية الشيخ وسبر أغوارها مظهرا و مخبرا، أما الشيوخ الآخرين، فهو يمر عليهم مرور الكرام في علاقاتهم بمجتمعهم وهو نفسه مجتمع الشيخ، وهذا لبرهة من الزمن، ثم يرجع أدراجه إلى شخصية الشيخ التي شكلت العمود الفقري للرواية، إذ تتصل بكل شخصياتها وتلتحم بكل أحداثها، ولا ينأى عنها الكاتب إلا للحظات، لينجذب إليها مرة أخرى، و ذلك ربما علة اختيار الكاتب لاسم الشيخ دالا على الشخصية المحورية المهيمنة على كامل الرواية.

إن لاسم الجنس العام الشيخ دلالات يمكن أن تسفر عنها حياة الشيخ، إذ يمكن أن يكون عدم وضع اسم خاص للشيخ ليكون ذلك رامزا إلى المثقف بغض النظر عن وجهته واتجاهه دون تحديد ولا تمييز، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ليفيد العموم و يندرج فيه كل من يحمل ثقافة فعلى عاتقه مسؤولية الجماعة، والكُلُّ يشترك فيها، ولا تتقيد بشخص معين، كما أن المسؤولية عظيمة عِظم عمومها، وهذا ما قد يفيده اسم الجنس العام الذي يوحي أنه اسم عام ومشترك، وهذا ما تحدث به الشيخ عن نفسه، وأظهر آلامه ومعاناته مما يعتري مجتمعه وثقل ذلك على كاهله، وعظم واجبه إزاء ذلك فالأحداث وضعته في واجهة مجتمعه[1].

فالشيخّ كلمة تحتفظ بمدلولها في السياق المعجمي والاجتماعي وتكون دلالتها واضحة تشترك بين الناس، غير أنها عندما توظّف في النّص السردي تأخذ معنى مغايرًا وتُشحن بدلالات خاصة وعميقة بحسب السّياق الذي وردت فيه[2]، ويفضي بنا هذا إلى علاقات وطيدة، بين مدلولات وخصائص الشخصية المسماة به والأدوار المنوطة بها، وهو ما قد يعزز التكامل والتطابق التام دون قِناع ولا غُموض بعيدا عن« الطابع الوهمي المضلل»[3]، كما أن الكاتب في رحلة عمله الإبداعي وعند اختيار«...اسم معيّن

---

[1]- ينظر،الرواية،7- 12.

[2]- ينظر، أثير محسن الهاشمي،صورة المرأةبين السياب وأدونيس، عالم الكتب الحديث، إربد،الأردن-عمان، ط1، 2011،ص81.

[3]-نفلة حسن أحمد، التحليل السميائي للفن الروائي،97 .

لشخصية معينة، عادة ما يتم انطلاقا من الواقع الذي يحدثه المظهر الصوتي للدال[...]وهذا المظهر الصوتي(أو طريقة تركيبه الصوتي) يساهم بشكل كبير في تحديد السّمة...الدلالية للشخصيّة»[1] ويعطينا صورة عن الشّخصية ويحدّد سماتها وكذا واقعها وآفاقها المستقبلية، وهذا ماتسم به اسم الشيخ فهو اسم شعبي ليوحي إلي أمارات و مخايل ما تتحبّذ به الشخصية إلى الجماعة، وإحداث التفاعل الحثيث بين الفرد ووسطه الثقافي، واستدرار قلوب المتعاملين معه، و تحقيق التجاوب الفعال، ذو المردود القيِّم في ظل التوعية والتوجيه حيال المجتمع، ومنه يمكن أن يكون هذا علة اختيار الروائي لهذا الاسم، مميزا به الشخصية المحورية، حرصا منه على توظيف اسم من المعجم الشعبي الجزائري، وقد جاء الاسم بدلالة الإفراد ربما ليفضي إلى الوحدة والعزلة التي تعتري الشيخ في محيطه الاجتماعي، إذ من خلال حديثه بينه ونفسه، تحدّث عن صعوبة اقناع رفاقه بالرأي الذي يَكْفُل تحقيق المصلحة العامة، ويرُدُّ الأمور إلى نصابها ويُحمّل من في الصَّدارة ثقل المسؤولية المنوطة بهم، وكذا وِزْر إهمالهم لها لبرهة من الزمن، إذ أفْلت ذلك زمام المجتمع من قبضتهم حين وقوع الفتنة، فهو يواجه قدره الذي افترضته عليه الوظيفة والواجب وهو يتربّع على عرش الصدارة في مجتمعه« والشيخ يعرف بأنّها رياضة صعبة فالأحداث لم تزره ليتفرّج عليها بل لتشد يده بعنف وتضعه في خضم معتركها كما يفعل الراقصون[...] بل أكثر وأقسى من ذلك لأنّ مجريات الأحداث قد وضعت الشيخ في موقع أمامي صعب لا تنصرف عنه الأبصار بسهولة...»[2]

فاسم الشيخ جاء مقرونا بأل التعريف- ولا يكون اسم علم الجنس معرفا- ربما ليوحي كونه معرفة،إلى ضرورة أن يكون الشيخ معروفا،فيعرفه الناس فهو القدوة والمثال المحتذى، والنور الهادي، والنور يعرف بإضاءته، وكذا الشيخ لما يكون مُعَرَّفا يكون مَعْروفا، ليتحقق استجلاء الحكمة من نبضه الدافق، والارتواء من زبدة تجاربه.

وقد تواتر ذكر الشيخ بالاسم ستمائة وعشرون (620) مرة مفردا، دون أن يكون مقرونا بصفة، أو مضافا إلى اسم علم، وثلاثة عشر مرة (13) مقترنا بمرحلة الصغر بلفظ الشيخ الصغير، ومرة واحدة فحسب مقرونا بمرحلة الشباب بلفظ الشيخ الشاب، وكأن

[1]- فليب هامون، سميولوجية الشخصيات الروائية، تر سعيدبنكراد ،8. 9- 10..

[2]- الرواية، 8.

الكاتب بذلك طوى مرحلة الشباب بعد أن عقد الأمل في مرحلة صغره، لكونها مرحلة البذر والغرس، فلاشك أن الثمار ستؤتي أكلها حين بلوغ مرحلة النضج، بعد الرعاية للغَرْس، وهو ليِّن طَرِيّ، لـــ«...إن الأمر قد يصل إلى إمكانية استشراف الفعل المستقبلي من خلال دال الشخصية، ومعنى هذا إن مجموعة من البرامج السردية تكون متوقعةانطلاقا من هذا المظهر الصوتي»[1]، فهو استشراف لمستقبل هذا الفتى الصغير من خلال اسمه وما اتّصل به من صفات لكون «التسمية تؤسس لنسب الطفل واندماجه في الجماعة...»[2]، ليعقب الكاتب مرحلة الصغر بمرحلة ما بعد الشباب، والولوج منها مباشرة إلى مرحلة الكهولة، حيث يبلغ الإنسان أشُدَّه، وتَكْتمل ذاته، ويبلغ نِصابُها من الحكمة والحنكة، ويشتد عوده ويُورق أيَّما إيراق.

فتواتر ذكر الشخصية يكون دليلا على شيء، ونلاحظ أن ذكر الشخصية بالاسم يعد أقوى دلالة على ذاتها من ذكرها بالضمير[3]، إلا أن ذكر الشيخ بكثرة كان عن طريق ضمير الغائب(هو) إذ بلغ تسعمائة وخمس وتسعون(995) مرة، فهذا قد يحيلنا إلى الكاتب الذي اتخذ إبداعه وسيلة لتمرير أفكاره، ونقده لمظاهر من المجتمع، أو هو شكل لفظي وظيفته التّعبير عن اللاشخصية، وحتى تكون الفرصة سانحة للمُتلقي ليتدخَّل بخلفيته، ليُكوّن صورة مغايرة عمّا يجده الآخرون، عند قراءتهم لنفس الرواية، وعلى حد تعبير فيليب هامون بأنّ الشخصية تركيب جديد، يقوم به القارئ أكثر مما يشكِّلهُ النّص[4].

ولو ناظرنا بين صفحات الرواية التي يبلغ عددها أربعمائة وثلاثون (430) صفحة، وبينما شغلته الشخصيات الأخرى لرأينا غزارة وروده في النص بمعدل كبير، فقد تواتر خمسمائة وأربعون(540)مرة علما أن هناك بياضات عديدة تتخلل أجزاء الرواية، مما يدل

---

[1]- فليب هامون، تر سعيدبنكراد، سميولوجية الشخصيات الروائية ،10.

[2]- بسام القطوس، محاضرات الملتقى الوطني الثاني السمياء والنص الأدبي، منشورات جامعة محمد خيضر بسكرة 2002 ص25

[3]- ينظر،نفلة حسن أحمد، التحليل السيميائي للفن الروائي،50.

[4]- ينظر، مفقودة صالح، صورة المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،ط 2: 2009، ص393 .

على أن الكاتب قد أعطاها مساحة كبيرة، في بنائه السردي لتتناسب وترقى بموقعها المسؤول المتمثل في القيادة والتوعية، وهذا مما يمكن أن يوحي إليه اسم الشيخ، وما يحويه من مواصفات ومؤهلات تدعِّم أداءه الفعلي، وتعزِّز من وظائفه المنوطة.

بعد أن تعرّفنا على ماهية دال الشخصية المحورية الشَّيْخ ودلالة اسمه في الرواية نلاحظ أنّ هناك علاقة بين عنوان الرواية و النّص السردي لها من جهة وبين العنوان والشخصية المحورية من جهة أخرى فعنوان الرِّواية هو حديث الصّمت وبالبحث عن المعنى والبنية العميقة وتحديدها من خلال النّحو أو المعنى السّياقي...نجد أن حديث يعتبر مبتدأ نكرة دلالة على مجهوليته واتساعه وغموض حدوده وقد عرِّف بإضافة الصَّمت له ليصبح الحديث مجالاً وفسحة يستغْرقه الصَّمت استغراقا كاملاً باستغراق(ألْ) التّعريف الكامل المبالغ فيه.

فدلالة عنوان الرواية (حديث الصمت) تشير إلى أنّ الحديث الذي هو رمز العمق والاتساع واحتواء مجال في الزَّمن والحركة والاتصال بالآخر والتَّواصل معه والأخذ والعطاء ويقابله الصّمت رمز السُّكون والتَّوقف عن الحركة والثَّبات والاستقرار وانعدام الاتصال والتَّواصل بالآخرين وما يصحب ذلك من تبادل الخبرات والأخذ والعطاء وانفصام العُرى وانعدام التَّكافؤلانعدام الحديث.

فدلالة العنوان تعبِّر عن بطل الرواية الشَّيْخ الذي يحمل كفاءة جليلة وخبرة عميقة ومعرفة واسعة لسعة فكره وتأمُّله في الحياة والكون واتّقاد بصيرته وسعة علمه وحبّه الخير لأهله وقريته لكنه رغم كلّ هذا ساكن أمام مجتمعه وقريته مكبل بالصّمت الذي بلغ صداه وقطع أواصر التّواصل الايجابي حِيال قريته لقلة وانعدام الوعي والكفاءة في وسطه الاجتماعي رغم ذلك نجد أنّ كفاءة الشّيْخ تنفلت من حين لآخر وبقدر ضئيل وعلى ثلة محدودة من مجتمعه لتنير درب قريته وتهدي طلبته فيحظى مجتمعه لبرهة من الزّمن من مورد المعرفة والخير العميم، فكما الصّمت يُكبّل سعة الحديث ويقطع امتداده ويحول دون التّواصل بين الأنام فتطغى عليهم الوحدة فكذلك الشّيْخ رغم كفاءته وسعة معرفته وعمقها يلفُّها صمت مطلق يحجبها عن ما حولها ويسْتر مافيها من حكمة وحنكة وعلم وخبرة ويحول دون تدفُّقها على أهل قريته.

فالعنوان في مستواه الدَّلالي عكس كل تلك الاضطرابات والألم والتضاد في نفس الشّيْخ مع كونه شخصية رئيسة ورغم كثرة تواتره في النَّص السردي وسعة علاقاته بالشّخصيات الأخرى في الرواية وكذا طغيان الوحدة عليه وانعدام التّواصل مع غيره وما يبثُّه من التحام النفوس بتجاذب أطراف الحديث الايجابي المثمر وتبادل الخبرة واكتساب المعرفة والهداية كما يشكو الشيخ من قلة السَّند وهو ماعبّر عنه الشّيخ في فسحة تامُّلاته في الكون على كثرتها وكذا ماأظهره النّص السردي والبنيات الفاعلية التي شكَّلته.

2. مدلول الشخصية المثقفة

كما إن للشخصية دال يُميزها عن الشخصيات الأخرى، لها إلى جانبه مدلول يمنحها طابعًا خاصًا، من خلال وحدات معنى تنفرد به شخصية ما وتتميز، ويضفي عليها صفات مركبة وبسيطة، تَهبها دلالة مميزة، واسْتقلالا عن الشَّخصيات الأخرى، لكون الشّخصية هي أهم مَعْلم يُوجِّه تحولات الرواية، إذ يرى فليب هامون«...إن الشخصية هي دائما وليدة مساهمة الأثر السِّياقي(التَّركيز على الدَّلالات السياقية الداخل/ نصية) ونشاط استذكاري وبناء يقوم به القارئ. »[1].

وبما أنَّ الشَّخصية علامة ووحدة دلالية، ومدلولٌ قابلٌ للوصف والتَّحليل، فإن تموقع علامة ما داخل ملفوظ، يكون مقرونا بالسِّياق السابق له، والذي يربط بين السمات المختلفة، ليُعطينا دلالة ما، بعد اندماجها وتقاطُعها مع العلامات الأخرى للشخصية ليعطي دلالة ممكنة، والتي يحويها الملفوظ السَّردي، ويمكن التَّوسيع من ماهية السِّياق ومجاله ليشمل التاريخ ومحطَّاته وشخصياته والثقافة وتنوُّعاتها، وكذا الفضاء الجغرافي الذي أتخذه الكاتب فضاءا للرواية[2]، وقرية للشيخ وتدعى لقْصِيرْ لَحْمَرْ[3] –

---

[1]– فيليب هامون، سميولوجية الشخصيات الروائية، تر سعيد بنكراد، 28.

[2]- ينظر، نفسه 27– 29.

[3]- هي قرية أثرية تقع غرب مدينة القرارة، على جبل أحمر يشرف على المنطقة الصناعية حاليا سكنها قديما أهل قرية العطف، وقد اندثرت، و لم يعد لها أثر الآن، وتمثِل المرحلة الرابعة لنشوء القرارة، ينظر:صالح عبد الله أبو بكر،القرارة من التأسيس إلى دخول الاستعمار الفرنسي، جمعية التراث، القرارة– غرداية، ط 1: 1631 – 1882،ص: 26–27. وينظر،

القصر الأحمر– ومنه سيجعل دور أي شخصية يرتبط بسياق ثابت ومحدَّد، لكونه مرَّ سابقا وخطَّه سجل التاريخ، أو قد يُحيل إلى ثقافة بعينها، ولأمَّة ما...وهذا التَّوسيع للسِّياق سيخْلق تشابهًا نسبيًا، لاسم الشَّخصيَّة، مع أسماء أعلام لشخصيات تاريخيَّة، فيكون اسم هذه الشَّخصيَّة كنقطة ارتكاز مرجعيَّ لشخصيات تاريخيّة سابقة، وما يلحقها من أدوار قبلية قامت بها الشخصيات في زمن ماض، دون أن يمنع اسم تلك الشَّخصية أن «تكون له وظيفة سرديَّة أصلية في العمل الأدبي»[1] وظيفة رئيسة خاصَّة بها، رغم تقاربها الشديد مع الشخصيات التاريخية، وهذا ما يُمكن أن نلمسه من خلال الإشارة إلى اسم علم أو اسم فضاء ما، مثلما ورد في الرواية فاسم الشَّخصيّة المحورية الشَّيْخ يوحي إلى مرجعية سابقة، من خلال دلالة لفظ الشَّيْخ، فكونه اسم جنس عام فهو يحيل إلى نخبة من الشَّخصيات أورد الكاتب ثلة منها، ومنها الشخصيَّة المرجعية تتمثَّل في الشيخ عبد العزيز الثميني، فقد نال مساحة محدودة من متن الرواية، ولكن دورها كان فعَّالا في زاوية من فضاء الرواية، فقد كان قبلة للعلم والحكمة، وقد اسْتنجدت به إحدى القرى المجاورة لقريته، ليكون رسول صلح بين أفرادها، وبمجرَّد ولوجه القرية، وانتشار خبر مجيئه، التحمت القلوب، وتصافحت الأيدي، بعد زمن طويل من التَّعصُّب والجفاء، دون حتَّى أن يُكلِّف نفسه جهدا ولا عناءا.

فعدم اقتران اسم الشيخ باسم علم خاص، يتجاوز بذلك معنى لفظ الشيخ الذي يُطلق على الكبير في السِّن فحسب، ليلتحم بالدلالة الأخرى، التي تحيل إلى «مكانة دالة» أو يمكن اعتباره من مصاف «مركز اجتماعي خاص»[2]، وهذا ما قد يُثبته إيراد الشخصية المرجعية الشيخ عبد العزيز، وكذا الشخصيات الاشارية، في الرواية ذات الصَّيت والمركز الاجتماعي، كما أن كون الشخصية المحورية"الشيخ" اسم جنس عام وعلامة تنطوي على عدة احتمالات ممكنة، لكونها «بياض دلالي» إذ لا معنى لشخصية ولا لمرجعيتها، إلا من خلال السياق الذي يُحدِّدها ويرسم معالمها، إذا يُصبُّ في الشخصية من أوَّل ظهورها في النَّص السردي «تراكم

رسالة في بعض أعراف وعادات وادي مزاب، تح: يحيى بن بوهون حاج امحمد،جمعية النهضة العطف، غرداية– الجزائر، ط:1 2009،30 -31.

[1]– فيليب هامون، تر سعيد بنكراد، سميولوجية الشخصيات الروائية، 29.

[2]– نفسه، 30 .

دلالي» ويقع عليها «تكثيف» يستند إلى التَّحوُّلات المختلفة، التي تعتري دربها، وتُشاطرها مسار حياتها، في« الملفوظ السردي» ومنه «لا تمتلئ إلا في آخر صفحة من النَّص، حيث تتمّ مجمل التّحولات المتنوعة التي كانت هذه الشخصيّة فاعلا فيها وسندا لها »[1].

إلا أنّ قيمة الشَّخصية ومدلولها لا يتحقَّق بفعل تكرار الإشارات التي تحويه، أو من خلال نسبة التَّراكم، ومقدار التَّحوُّلات التي تشهدها في النَّص، وإنّما إضافة إلى ذلك من خلال علاقة شخصية ما بالشّخصيات الأخرى، من خلال تماثلها لها أو تقابلها بها، في الصفات المميزة لكلّ شخصية من شخصيات الرواية، وبمجرَّد اطلاعنا على رواية أو حكاية ما يظهر لنا ذلك، وحتّى يكون التمييز على أساس متين، يكون الاعتماد على ثلة من الصفات، في علاقة«تقابل أو تطابق» على حسب ما قام به تودوروف، ولكن الإمساك بهذه المحاور المفكَّكة، يكون في صفات مميَّزة ومحدَّدة، من خلال تكرارها في الملفوظ السردي[2].

وإذ اقتصرنا على المحاور الأساسية التي أوردها جدول فيليب هامون، وهي الجنس والسِّن والأصل الجغرافي والأيديولوجيا والثروة وحلَّلنا على منواله[3]، من خلال علاقة الشيخ بالشخصيات الأكثر علاقة به، و حضورا في النص السردي:

	المحاور / الشخصيات	الجنس	السن	الأصل الجغرافي	الأيديولوجيا	الثروة
ش1	الشيخ	ذكر	شيخ	قروي/ طبيعي	تقدُّمي	فلاح، فقير، مصلح
ش2	الشيوخ في كامل الرواية	ذكر	شيوخ	قروي/ طبيعي	تقدُّمي	فقراء، مصلحين

[1]- ينظر،السابق، 30.

[2]- ينظر،نفسه، 31.

[3]- ينظر، نفسه، 32- 33.

ش3	رفاق الشيخ في حلقة العزابة[1]	ذكر	شيوخ	قروي/ طبيعي	تقدُّمي	فقراء، مصلحين
ش4	بعض رفاق الشيخ	ذكر	شيوخ	قروي/ طبيعي	تقدُّمي	فقراء، مصلحين
ش5	طلبته[2]	ذكر	شباب	قروي/ طبيعي	تقدُّمي	فقراء، طلاب في محضرة
ش6	باسعيد نوفوس	ذكر	شيخ	قروي/ طبيعي	رجعي	فقير، جزَّار

(الجدول -1 -)

من خلال هذا الجدول الذي يُظهر المواصفات الأساسية والخاصة للشخصيات المذكورة، والتي تحدِّد أقسام الشخصيات في مستواها الأكبر، كما إنّ الجدول(1) يُبرز مدى التماثل أو التَّقابل بين شخصية الشيخ والشخصيات المحدّدة في الجدول:

- نلاحظ إنّ (ش1) تتفرَّد بمحاور وسمات دلالية، لا تشاركها فيها الشخصيات الأخرى، إلاَّ في بعضا منها، أوأغلبها.

- نجد (ش2 ، ش3 ، ش6) تنتمي إلى نفس القسم وتحمل نفس المواصفات الدَّلالية.

- أما (ش 4) فهي تتقابل مع كل الشخصيات الأخرى، وكذا (ش5) تتقابل مع كل الشخصيات الأخرى أيضا.

-كلُّ شخصية من شخصيات الجدول (1) تتقابل مع الشخصيات الأخرى،إلا (ش 2، ش 3، ش6)، تتَّحد في نفس المواصفات وتنتمي إلى نفس القسم.

إن هذه المواصفات تجعلنا نصل إلى تحديد أوّلي للدلالة المتعلِّقة بالشخصية المحورية، وعلاقتها بالشخصيات الأخرى، من خلال مواصفات سطحيَّة، ممّا يتطلَّب التَّعمُّق

[1]- حلقة العزابة اسم جماعة تضمّ شيْخا يُعلمهم العلم والسّيَرويجلسون حول شيخهم في شكل حلقة دائرية، فالحلقة كانت في بدايتها علمية تربوية ثم تطوّر نظامها في بلاد المغرب الأوسط والأدنى ليكتسِب طابع سياسي اجتماعي للجماعة الإباضية، والهيئة تمثل إمامة الظهور في مسلك الكتمانعند إباضية المغرب. ينظر، مجموعة من المؤلفين، معجم مصطلحات الإباضية، ج2، 697، 702- 703.

[2]- الطلبة مصطلح يُطلق على المشتغلين بالتّحصيل العلمي والدّراسة عند إباضية شمال إفريقيا بغضِّ النَّظر عن أعمارهم، ولهم قوانين ونظم خاصّة يسيرون على هديها ويلتزمون بها. ينظر، السابق، 641.

للوصول إلى جزئياتها الدلالية، فالأصل الجغرافي، يتطلَّب فيه الوصول إلى أكثر دقَّة، ولا يكفي أن نعرف أنّ الشخصيّة قروي فحسب، ولكن يتطلَّب زيادة على ذلك تحديد هل هي أهلي أم دخيل، فمن خلال شخصيات الجدول نجد إن كل الشخصيات تتَّسم بكونها أهلي (من أصل القرية) إلا الشَّيْخ لم يكن من أصلها، لكونه نَزيلا[1] فيها، ولكن منذ أمد بعيد، ممّا تحقق اندماجه فيها بشكل كبير، أما الإيديولوجية فتتَّسم إما بكون الشخصيات تنتمي إلى رجعي أو تقدُّمي[2]، فكلُّ الشَّخصيات تتّسم بكونها تنتمي إلى تقدّمي بكونها تساير عصرها وتسعى لتطوير نفسها ومجتمعها إلاّ باسعيد نوفوس فينتمي إلى رجعي لكونه لا يبذل جهذا لتوعية نفسه، وإلى جانب ذلك تمسّك بالتّعصّب والجمود الذي أعمى بصيرته وقاده إلى عدم قبول الحق والاستسلام لزمامه في جلِّ مواقفه المختلفة، ومنه تنتمي إلى التَّقدُّمي لمواكبتها لعصرها وزمانها[3].

ومن خلال هذه النَّتائج التي أسفرت عنها المحاور الدّلالية لوصف الشخصيات، ومدى التَّقابل والتَّماثل بينها، وهذا يحيلنا إلى جدول ثان، يُبرز الوظائف المختلفة للشخصيات السابقة، على مستوى نص الرِّواية الأكبر، وهذا ما يُبرزه الجدول التالي[4]:

الوظائف / الشخصيات	اكتساب المعرفة والوعي	تعليم وتوعية القرية	تكوين الطلبة واعداد الخلائف	اصلاح المجتمع واخماد الفتن	القيام بمختلف المهام الاجتماعية	احداث بلبلة، للجمود على الرأي والتّعصب
الشيخ	+	+	+	+	+	
الشيوخ في كامل الرواية	+			+	+	

[1]- هو مصطلح« يُطلق على كل فرد أو أسرة أو جماعة غير أصلية تنتقل إلى إحدى القرى سواء من مزاب أو من خارجه فيتم دمجها ضمن إحدى العشائر الأصلية في تلك القرية بعد مدة محددة يضمن فيها السكان ولاءها واستقامتها.»،ينظر، مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية، ج1، 75- 76.

[2]- ينظر، فليب هامون، سميولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد،35.

[3]- ينظر: الرواية، .

[4]- ينظر،فيليب هامون، سميولوجية الشخصيات الروائية، 34- 35.

زملاء الشيخ في الحلقة	+			+	+	+
بعض زملاء الشيخ	+			+	+	
طلبته	+					+
باسعيدنوفوس						+

(الجدول – 2 –)

فمن خلال الجدولين السابقين(1 و 2)، نتوصل إلى النتائج التالية:

1. الشيخ

1.1. ساهم في تكوين نفسه، وتعليم وتوعية المجتمع واكسابهم المعرفة التي تصونهم من الوقوع في غيابات الجهل.

1. 2.كان له دور فعّال في إعداد الطلبة والقيام بشؤونهم، لينالوا الوعي ويصبحوا خلفاء المستقبل، ويحملوا مشعل الوعي من بعده.

1. 3. إن ماحواه الشّيخ من علم وحكمة، خوَّله ليساهم في ما اعترى قريته من فتن كادت تجْرِف بها، وساهم بذلك في صيانة مجتمعه من الهلاك والدَّمار.

1. 4. إنّ ما اتّسم به الشيخ من كفاءة وجدارة، علما وعملا، انتخبه ليتكفَّل بمختلف المهام الاجتماعية، كمساعدة المحتاجين، والتّكافل الاجتماعي، ممّا يرجع بالخير والنّعيم على مجتمعه.

2. الشيوخ تنوَّعت وظائفهم رغم الإطلالة القصيرة، وقد اتفقوا في وظيفتين من وظائف الشيخ، في مجال حياته وحيال مجتمعه، إلاّ أنّ حظهم من البروز على السطح كان ضعيفا، والأوّل والأخير بتلك الوظيفة، ممّا لم يحظوا بالمساهمة الفسيحة في الصِّراع العام للرواية، وإنَّما الهامشي منها بصفتهم شخصيات عرضية، وذات مجال نصّي محدود.

4. أمّا الطلبة فقد اتّسمت وظيفتهم باكتساب العلم والمعرفة، بمصاحبتهم للشيخ، وقصدهم لمجالسه، حبا للعلم وأهله.

5. رفاق الشّيخ في حلقة العزابة

5 .1. ساهموا إلى جانب الشّيخ وشيوخ القرية في اصلاح المجتمع، وإخماد الفتن، إلا أنّ ظهورهم كان بشكل عرضي ومحدود مقارنة بهيمنة الشيخ الكاملة والمستمرة على كامل الرواية، وعلى أغلب أحداثها، بصفته شخصية محورية.

5-2. القيام بمختلف المهام والأدوار الاجتماعية إلى جانب الشَّيخ، والتي ترجع على القرية بالخير العميم.

5- 3. ساهموا بعد الفتنة بإحداث بلبلة واللاتوازن، على مستوى المجتمع بفعْل تمسُّكهم برأيهم في شأن دية الحاج صالح، و لم يتقبّلوا رأي الشّيخ، من ضمن اختلاف العلماء، وتبرَّؤوا منه ردعا له، مما أحدث هذا نوعا من الجفاء وعزلة للشيخ، إلا من طرف بعض زملائه من الحلقة وغيرها، وطلبته.

6 – باسعيد نوفوس وجماعته

6-1. لم يكن له دور يُذكر قبل الفتنة، إلا أن سمة الجهل والجمود على الرأي، وعدم الاحتكام للحق، أحدث نوعا من الاضطراب، وتشظّي نار الفتنة، إذ حوَّلت با سعيد شخصية فاعلة لفترة من الزمن تتربّص بالشيخ للقضاء عليه، لكونه أدلى برأي مخالف لقرار الحلقة في دية الحاج صالح، والذي نال حتفه لما أراد اخماد الفتنة، فباءت محاولاته بالخيبة والفشل، وراح ضحية لها.

ونستخلص من الجدول الشخصية المحورية والثانوية، وتُصنّف شخصية الشيخ شخصية«نمطية» إذ تقوم بكل الوظائف ونلمس ذلك من خلال الجدول(2) إلاّ الوظيفة الأخيرة منها ومنه تعدّأ كثر نشاطا وأكثر تعقيدا من باقي الشخصيات لكونها تقوم بأكبر عدد من الوظائف مقارنة بالشخصيات الأخرى، وبذلك تكون شخصية رئيسة، وأما باقي الشخصيات فثانوية[1] لكونها لا تقوم إلا بوظيفة واحدة أو على الأكثر ثلاث وظائف إذ حشدها زملاء الشيخ في الحلقة والثالثة منها تعبّر عن التّعصّب للرأي وعدم قبول الرأي الآخر، كما يسفر لنا الجدول عن الطابع العام لشخصيات الرواية إذ تقوم بنيتها على الفعل والوظائف المتباينة التي تُخوِّلُها

[1]- ينظر، فيليب هامون، سميولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، 34.

الرواية أكثر من قيامها على مظهرها الخارجي وحالتها الاجتماعية كالجانب المادي الذي لم تتمايز به الشخصيات و لم يظهر مهما مقارنة بالجانب الداخلي فلا شك أنه لأهميَّته ولدوره الفعَّال في الوصول إلى معرفتها بشكل واضح.

كما نجد أنّ العلاقة بين الشيخ والشيوخ، تتَّسم بالتَّشابه والتَّقارب من ناحية الخصائص العامّة الخارجية منها والداخلية(كالثَّروة والايدولوجيا...) واختلافها من ناحية الوظائف الموكّلة بها مع تكاملها إذ تأخذ كلها بالعلم والوعي وتسعى لتحقيقه.

كما يبرز لنا الجدول(1و2) الشخصيّة الرئيسة والشخصية الثانوية، وبما أن كل تحليل يتطلَّب التَّمييز بين ذات الشخصية وأفعالها وبين مواصفاتها ووظائفها ممّا يبرز مدى التّطابق أو التّقابل، بين ذات أو فعل الشخصية، نجد التّطابق في حالة شخصيات متَّزنة، والتقابل في حالة شخصيات مضطربة تتّسم بالغموض، كما يعطينا صورة عن وسيلة الإخبار عن الشخصية، من طرف شخص واحد أو عدَّة أشخاص، بما أنّ التواتر ليس كافيا لتحديد المواصفات السابقة ومدى حضور الشخصية فيها لأنه قد نجد تواتر الشخصية، لكنها أقلّ درجة في تفعيل المواصفات من شخصية تتمّ الاشارة إليها مرّة واحدة، لكنها تُثبتُ فعاليتها، ومنه نستعمل معايير أخرى لتصنيف أدق للشخصيات، من خلال المعيار الكمِّي الذي يجمع ما يتعلق بـــ« تواتر معلومات» عن شخصية ما بشكل واضح داخل النَّص والمعيار الكمّي يحيلنا بدوره إلى المعيار الكيفي الذي يتناول معلومات عن الشخصية بكيفية مباشرة من طرف الشّخصية ذاتها أو بشكل غير مباشر من خلال تعاليق وملفوظات تنطق بها شخصيات أخرى ومن بينها المؤلّف أو معلومات عن الشخصية ينطق بها فعلها ونشاطها، وسوف نقتصر هنا على الشخصية الرئيسة التي أبرزها الجدولين السابقين من جهة،ولكونها وردت بشكل كبير، لكون الكاتب أعطى لها الاهتمام البالغ من ميلادها وحتّى بلوغها مكانة في مجتمعها، من خلال المقياس الكمي، الذي يصنِّف الشخصيات دلاليا[1]، فنحصل على الجدول التالي:

المعيار الكمي		
الشخصية	أرقام الصفحات	عدد الصفحات

[1]-ينظر، فيليب هامون، سميولوجية الشخصيات الروائية، 37.

الشيخ	7-40، 42-44، 47-48، 51-53، 54-59، 64-65، 69، 75، 84-89، 92-101، 103-114، 131-139، 143-153، 161، 175، 178-206، 208-209، 213-214، 352-354 ، 357-375، 377، 380-389، 393-395، 398-400، 402-403، 406-410، 417، 419، 421، 424-425، 427-430.	188

(الجدول -3 -)

يتضح من خلال معطيات المقياس الكمِّي(جدول-3-)،الذي يحصر عدد الصفحات التي ورد فيها ذكر شخصية الشيخ بالاسم الصريح، أو بضمير الغائب(هو) إذ يبلغ أقصى ذكر له ففي بعض الصفحات حتى عشر مرات، ليُعطينا معلومات عن شخصية الشيخ ويُؤكّد حضورها أكثر من الشخصيات الأخرى في المتن السردي، وهذا ما تؤكده نسبة المعلومات المتواترة عنها، وإن لم نضع إحصاء لكل الشخصيات الأخرى، لكونها محدودة الذكر من خلال الاطلاع على الرواية، إذ لا يتجاوز ذكرها بضع مرات.

أما المعيار النّوعي:

الشخصية	مصدر المعلومة	أرقام الصفحات	مجموع الصفحات
الشيخ	السارد	7-30، 32-33، 36- 37، 39- 40، 42- 43، 45، 47- 48، 51- 59، 64- 69، 75، 84-89، 92- 101، 103- 113، 131- 139، 143- 144، 146، 149، 153، 155، 161، 178- 180، 183- 185، 187- 196، 198- 206، 209، 213- 214، 353- 354، 357-375، 381- 389، 393، 395، 400- 403، 406- 410، 417، 419، 421، 425، 427-430.	154
	الشيخ	180- 183، 185- 187، 192-193، 197، 202، 205- 206، 353، 359، 360، 363، 368- 369، 387، 399، 408، 427.	23
	كاسي أن عمر	202، 374، 377.	3
	بحوص	195، 362، 364.	3
	يوسف أوحمو	196، 353.	2
	عبد الله أو إبراهيم	375	1

من خلال استقرائنا لأشكال، وطرق تقديم شخصية الشيخ على صفة المعيار النّوعي نستخلص أن مصادرها كانت:

1. السارد: فهو المصدر الأساسي للمعلومات الكاملة عن شخصية الشيخ.

2. الشيخ: أورد معلومات عن نفسه، كما قدّم معلومات حول بعض شخصيات الرواية، وهذا يُفسّر حضورها الدّائم في القص باعتباره راوٍ وشخصية محورية مهيمنة في الوقت نفسه استفتحت بها الرواية وكانت مِسْك خِتامها.

3.أمّا الشخصيات الأخرى فقد وردت شخصية الشيخ على لسانها بنسب قليلة.

ونستنتج من كل هذا أن العلاقة بين الاسم والشخصية وهي علاقة تكاملية فالاسم يلحق بصاحبه والعكس صحح، فالشخصيّة بمنأى عن اسمها ناقصة غير تامة الملامح والرؤية وكذا الاسم في غياب شخصيته، لما يُحيل عليه الاسم من معاني ودلالة في تقاطعه مع صاحبه ومنه لا يمكن الفصل بينهما ولا غنى للواحد عن الآخر وهذا بالنّظر إلى اسم الشخصية ومدلولها والاطلاع على حياة الشيخ التي شغلت جلُّ صفحات الرواية.

ثم إن الدال وما امتاز به من سمات نجدها تتطابق كليا مع ما يُسفر عنه المدلول من صفات، ليتّحد بذلك الدال مع المدلول، ويتّجهَا في نفس مسار أدوار الشيخ ولخدمة مشروعه السردي العام؛ توعية المجتمع، ونشر العلم، فاسم الشيخ وضع على مسماه لكونه دالا على التبجيل لمكانته بين الناس، وقد صاحبه الاسم على طول المسار النصي، وحقّق الدال الانسجام مع مدلوله وعكس سماته، وتواءم مع طبيعة حياة الشيخ المفعمة بالمسؤوليات الجليلة حيال محيطه ومجتمعه عموما، لكون الشخصية نتعرَّف عليها وندركها من خلال دالها ومدلولها وأفعالها وأقوالها هي وأقوال الناس عنها، وظائفها المختلفة عبر مسار حياتها في النّص السردي .

المبحث الثاني:البناء الخارجي والداخلي للشخصيّة المثقفة.

1- البناء الخارجي للشخصية المثقفة:

إن تحديد الشخصية الروائية يتطلب احتواء كل جوانبها السطحية والعميقة بعد استنطاق دالها ويتمثل الجانب السطحي في مظهر الإنسان الذي يضم المظهر الخارجي للجسم وما يُواري سوْأته من زيٍّ ولباس و«...بالحديث عن الجسد الذي من خلاله تتحدد هوية الإنسان، وبه يكون المرء قادرا على الأخذ والعطاء، وإقامة علاقات اجتماعيه، فالجسد خلافا للنظرة الصوفية[...] التي تتجاهل الناحية الجسمية وتعتبر أن الإنسان الحقيقي روح وعقل فقط[...] بينما لا قيام للروح بغير البدن»[1] وهذا بفعل الوصف للصورة الخارجية للشخصية، بكل مكوناتها: الهندام والهيئة والعلامات الخصوصية المميزة[2] وما تتميز به من مزايا وعلل تلفت النظر وتميزه عن غيره وتضفي جوا من الانسجام أو التنافر بين هذه الأوصاف وتجعل منها نقطة ارتكاز ينطلق من خلالها الكاتب لرسم معالم شخصياته[3] وقد حظيت الشخصية المحورية بالوصف المفصل والدقيق لمختلف جوانب مظهرها الخارجي، لكون ذلك يساهم في فهم مكنونات أحداث الرواية، وتحديد إطار جوها العام، ويساهم في إدراك صورة الشخصية حية مجسدة للعيان، لكون الشخصية عنصرًا مهمًا وفعالاً في بنائها وتصميمها، وقد سلط الكاتب ضوء الوصف على بعض من مساحات المظهر الخارجي ربما لأهميتها الجليلة وهي:

1- 1 الرأس

أعظم عضو في جسم الإنسان وما يزيد من قيمة صاحبها ارتداء القبعة أو العمامة[4]...التي تزيده رونقا واحتراما وهي من لباس قرية الشيخ صغارا وكبارا

[1]- مفقودة صالح، صورة المرأة في الرواية الجزائرية، 308.

[2]- ينظر، إبراهيم صحراوي ، تحليل الخطاب الأدبي دراسة تطبيقية، دار الآفاق الجزائر،ط1: 1999، ص105.

[3]- ينظر، عبد الله حمار، فن الكتابة تقنيات الوصف، دار الكتاب العربي للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، القبة- الجزائر، (د.ط)، 1998، ص:84-86، 88.

[4]- «العِمامَة ما يُلَفُّ على الرأس.»، ينظر، مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط،مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004، ، ص629.

ولكن الشيخ«...رأسه كانت دوما عارية في الصيف.يترع عمامته كاشفا عن رأسٍ يلمع فيها العرق بالأخص في مواقع الصلعة التي بدأت تدب إليها»[1] فكون رأسه عارية وتتوسمها صلعة والشّعر رمز الوسامة يضفي على الانسان حسنا وبهاءا فهذا قد يتوحي إلى منتهى البساطة والتواضع وهذا أمام طلبته فهو لم يتكلف في إخفائها لكونها علة قد تنقص من قدره وقد تكون دليلا على صدقه ووضوحه وإبداء ما عنده سواء كان عيبا أو مزية راضيا بما حباه الله كما قد يكون عدم تقيده بلبس العمامة يدل على عدم خضوعه إلى إي طرف أو جهة تحتم عليه ملازمة ارتدائها مهما كانت الظروف والأحوال رغم أنه ينتمي إلى حلقة لها تقاليدها ونواميسها الخاصة.

وبعد وصف للرأس وما اعتراها من علة الصلع، قد تكون ناتجة عن أسباب وراثية أو مرضية، ينتقل الكاتب إلى جزء منها، وهي اللحية« لحيته تبدو كثيفة في الذقن خفيفة على الجانبين؛ غلب عليها بياض الشيب. تمددها إلى الأسفل يزيد في استطالة وجهه كما يعدل من طول أنفه البارز الذي يطل على فم عريض»[2] ويعطينا صورة حية مجسمة لكثافتها على مستوى الذقن، وخفتها على مستوى الجانبين، ليوحي لفظ الكثافة على ضخامتها، وإخلاء السبيل لتدليها، وعدم حلقها، ومنه قد تكون رمزًا لضوابط السنة الشريفة بالأمر باعفائها وقد غلب هذا المظهر على رجالها[3] كما أن دقة وصف اللحية يخدم الجانب الفني الذي يرسم لنا صورة مجسدة للعيان، ويضيف الكاتب إلى هذا التصوير بوصف لونها الذي غلب عليه الشيب، ليحيل للتّغير الذي أصابها بفعل تقدم السن وتجاوز مرحلة الشباب إلى مرحلة الكهولة فهو لم يصبها فحسب وإنما تجاوز بأن غلب على مظهرها، والشيب علامة رامزة في الغالب على تقدُّم العمر وإذكاء الحكمة، وهذه أبرز سمة يُنتخب بها صاحب المسؤوليات، والقائم بزمام المجتمع، كما أن بياض اللحية لم يُردي من كمال الشيخ وإنما«...أشع بياض اللحية حوله إشراقا هادئا»[4]

[1]- الرواية، 94.

[2]- نفسه، 95.

[3] - ينظر،نفسه، 100.

[4]- نفسه ، 99.

فكأنها كهالة تزيد من كماله، وتقصي التنافر بين أجزاء وجهه، وتضفي على ما حوله هدوءا وسكينة، كما أن إطلاق اللحية حيال الأسفل يزيد في استطالة وجهه لكونه طويلا قبلا كما أن طولها يعدل من طول أنفه البارز، والأنف أبرز عضو في الوجه، فعدم تناسب حجمه مع الوجه هو الذي يلفت الانتباه إليه، مما يوحي أن طول اللحية وكثافتها، خلق انسجاما وتناسقا على الوجه والأنف رغم ما بهما من علة الاستطالة والبروز.

ثم يتدرج الوصف لينتقل إلى ما يعلو اللحية وهو الفم أكثر أجزاء الجسم حساسية، فهو يضم حواس مهمة كحاسة الذوق...، كما يعد عاملا مهما لمقاييس القبح والحسن، من الناحية الجمالية، ويركز الوصف على ما يلفت الانتباه فيه، بكونه فَما عريضا، لينسجم مع طول اللحية وكثافتها في الذقن وطول الوجه وبروز الأنف ليسهم ذلك في إضفاء التناسق بين أجزاء الوجه المختلفة ويتكامل معها ومنه فاللحية تموِّه ما بالوجه من علل فلا طولها ولا كثافتها ميزة في حد ذاتها لكون ذلك من عادات أقصير لحمر بدليل أنها علامة بارزة على كثير من رجالها وإنما ميزتها أنها تضفي الاعتدال على بعض أجزاء الوجه وتُسهم في تكاملها لتعطي صورة قويمة من خلال حيوية الوصف، وتساند تخيُّلها، حتى لا تظل مجرد سمات جامدة على صفحات الورق.

وبعد وقفة مع وصف الوجه ينتقل الكاتب إلى جزء آخر منه، وهو الفم أكثر أجزاء الجسم حساسية ويحوي عضوًا مهمًا وهي حاسة الذوق يساهم في أناقة الإنسان، وحسن مظهره ونظافته، وهي الأسنان وقد أسفرت عنها حركة قضيب مروحة الشيخ اليدوية إذ يستقر الطرف العلوي منها بينها حين يعاين مسألة ما، أو يستوقفه سؤال ذكي في قاعة الدرس إذ تعبر عن مزاجه، فتظهر بذلك أسنانه التي«اصفرت وتناقصت مخلفة فراغات تغطيها شوارب غليظة»[1] ليوحي ذلك إلى بساطة رجل تكتنفه علل كعامة الناس، فقد تساوى مع أهل القرية، إذ أصابه ما أصابهم بفعل الجفاف الذي خلَّف قلة المؤونة فالجوع متفشي عندهم، مما أصاب أسنان قومه بالوهن أيضا[2] إضافة

[1]- السابق، 95.
[2]- ينظر، نفسه، 88.

إلى عدم توفر أطباء في ذلك العهد وتلك القرية يتكفلون بما بها من علل ومكابدة الصعاب لقصدهم لبعد المسافات، وندرة الوسائل المسخرة في ذلك العهد أما غلاظة شواربه فقد تكون علامة على تقاليد قريته و عصره باعفائها إلى جانب اللحية، وميزة غلاظتها أنها تسهم في تورية ما اكتنف أسنانه من علل وإبرازه صحيحا معافى وهو يشغل موضعًا لافتًا للنظر والاهتمام بتصدُّره لمجالس العلم وتسييره لزمام المجتمع مما قد ترمز إلى عدم الاهتمام بنظافة الفم ومظهر الوجه وهي من المظهر الخارجي للإنسان- رغم أهميته- على حساب أهمية مخبره وأولوية الاعتناء به من تقويم للذات وكسبٍ لشمائل نبيلة ومنه فقد يرمز كل هذا إلى المثقف الذي لا يتميز عن ذويه فهو يحوي أغلب سماتهم ومزاياهم وحتى عيوبهم ولا يتفاضل عنهم إلا بما حواه من علم ورشد.

1- 2 الوجه

يعتبر الوجه أكثر المناطق حساسية في جسم الانسان لأنّ الحواس تتمركز فيه كالسمع والبصر والشّم والذوق، وبعد الإشارة إلى الوجه وعلاقته مع الأجزاء الأخرى، يرجع الوصف إليه ليبرز سمات أخرى منه لكونه أول جزء يحكي ويعكس لنا ما يختلج في النفس الإنسانية وما يعتريها من حزن أو فرح يأس أو أمل خبث أو طيبة...فهو يعطينا مساحة للتكهُّن والحكم على حالة الإنسان حكما صائبا أوجائرا لكون الوجه هو أوَّل ما تظهر عليه علامات التَّغيُّر الجسمي وحتى النفسي ويفصح عن أهم معالمه كحالة الانفعال أو المرض ويعبر عن الراحة أو الكدر والحسن أو القبح...،مما يميز وجه شخصية عن الشخصيات الأخرى[1].

وقد تميزت الشخصية المحورية، وبانت سماتها بطريقة غير مباشرة من خلال تأمُّل رفيقها بحوص لها إذ« نظر إلى الشيخ- فرأى ضياء الفجر قد استقرَّ في وجه مكدود قد تجوَّفت خدَّاه- لكن ملامحه لانت لتعكس حمرة الآفاق المطلة برفق- وتتفاعل مع إشراقها»[2] فصفة مكدود[3] التي اقترنت بوجه تجوَّفت[1] خداه فقد تكون نتيجة لهزال شديد، وجهد عظيم، إذ

---

[1]- ينظر، عبد الله خمار، فن الكتابة تقنيات الوصف،107.

[2]-الرواية، 370.

[3]- «من [كدد] «الكَدُّ: الشِّدَّة» في العَمل...و«الإلْحَاحُ»في مُحاولة الشيء.»...رجل مَكْدُودٌ: مَغْلُوب...» ،الفيروز ابادي، تح: عبد الستَّار أحمد فراج، تاج العروس، وزارة الإعلام بالكويت- الكويت(د. ط)، 1971، ج9،ص:97.

ارتسمت معالمه واضحة جراء قلة المحصول للقحط المستمر على المنطقة، كما يوحي زيادة على ذلك، إلى كثرة المسؤوليات والكد المتواصل، حيال مجتمعه من التعليم والتوجيه، فضلا عن اشتعاله بمهنة الفلاحة في حقله، فكلها أعمال شاقة تتطلب توازنا غذائيا مناسبا يتواءم مع الجهد المفرط والأغلب أنه لندرة الغذاء لكونها سمة بارزة في وجوه أهل القرية، إذ برز ذلك في ووجوههم فـــ «ندرة الغذاء قد حفرت فيها أخاديد[2] بادية.»[3] ورغم هذه الخطوط والتعرجات الظاهرة على صفحات وجه الشيخ وخديه جرَّاء قلة الغذاء فإن ملامحه قد اكتساها اللين ترحِّب بحمرة الشفق وتتفاعل معها، كما تعلو وجهه إلى جانبها سمات أخرى رسمها طول تأمُّل بحوص« ...حين يلقي نظرات خاطفة اتجاه الشيخ ينعكس بصره في الوجه الساكن...»[4] فهو وجه تعلوه السكينة والهدوء رغم أنَّه مهدَّدا بالقتل من طرف باسعيد نوفوس وجماعته رغم أنَّه واحد من عشيرته ورفيقه في حلقة الدَّرس واللهو واللعب منذ صباه،كما فُصِل عن الحلقة العزابة لفترة من الزمن ،هو عضو فيها، وجفاه أكثر خلاَّنه لذلك بعد الفتنة ومقتل زميله العزابي الحاج صالح، أضف أنَّه يعاني وحشة الصحراء في سفره مع صاحبه بحوص قاصدا مدينة العطف ليظلَّ فيها إلى حين تخمد وتتوارى نار الفتنة في قريته مخلفا وراءه عائلته وأقاربه،وعشيرته[5] مصدر أنسه وسكينته، وسنده وحصنه، وما يلحق ذلك من الاضطراب واللاسكون على نفس الإنسان، فرغم وطأة كل هذه الضغوط وعمقها تبدو عليه ملامح السكينة مما يعطي صورة عن قوة شخصيته وصلابتها، وصدق مبادئه ومتانتها.

1- 3اليدان

[1]– من «جَوَّف» الشَيءَ: جَعَل له جوفًا،...والجَوْفُ من كل شيءٍ: باطنه الذي يقبل الشَّغْلَ والفراغ.» مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، 148.

[2]- من« خدَّ الأرض خَدًّا : حَفَرَها ...والأخدود الشَّقُ المستطيل في الأرض...ج أخاديد. ويقال: في ظهره أخاديدُ السِّياط آثارها. » السابق، 220.

[3]- الرواية، 101.

[4]- نفسه، 100 .

[5]- ينظر، السابق، 150.

تعدّ من الأعضاء المهمَّة أيضا ومنها الأصابع، فهي وسيلة لقضاء المصالح، وكسب الودِّ بالتَّرحيب والتَّحية، أمّا الشيخ فـــ«...أصابعه التي اخشوشنت بفرط تفاعلها مع الأرض»[1] فالخشونة تبدو صفة عارضة بفعل عمله كفلاَّح وليست شيئا وراثيا لعلة ومرض، فرغم أنَّه يعلِّم الناس وعضو في أهم حلقة في ذلك العهد له إلى جانب ذلك عمل آخر العمل في حقله ليُعيل عائلته بما يسهم به رغم ضآلته وحتى لا يكون كلاَّ على غيره.

4 -1 القدمان

عضو مهم من جسم الإنسان، بهما يستوي قائما وماشيا في مناكب الحياة ينهل من رزقها، والشيخ يجلس كعادته و«تعبث يده اليسرى بأصابع رجله بحركات عفوية وتنزع من تحت قدمه من حين لآخر ما تجسَّم من القشرة التي تشكَّلت في جوانبها من فرط المشي حافي القدمين في الغابة»[2] فهذه صورة تنقل لنا ميزة بشكل غير مباشر بفعل حركة يده في تأثيرها على القشرة التي تعلوها وكأنَّها صورةحيَّة نتابعها فالحركة جعلت من الوصف الحدث نفسه لاجزءا منه فحسب[3]،كما أن الشيخ«كان[...] يمشي حافي القدمين فوق كثبان الرمل المتراكمة على جنبات الوادي»[4] فمشيه حافي القدمين يوحي إلى تواضعه وبساطته فهو يتساوى مع عامة الناس في اتيانهم ذلك، رغم شأنه الكبير في مجتمعه فهو المعلم والمرشد والموجّه، كما توحي إلى جانب يديه على كدِّه لكسب قوت يومه من عرق جبينه، ومساواته مع العامة في حياته وعمله، وعلامة على تواضعه، فهو يندمج ويحتك بمختلف طبقات مجتمعه، من خلال عمله في التعليم والفلاحة التي تعتبر من أهم مصادر اقتصاد قريته، كما يوحي ما اعترى قدميه من القشرة إلى العمل الشاق والمستمر فلا يترك فضاء لالتآمها وبرئها.

5 -5 جلده الأسمر وهيئة جلوسه

أما جلدته السمراء، فمن المعلوم أن السمرة غالبة على ألوان العرب، في رحاب الجزيرة العربية وهي صحراء والشيخ بن الصحراء، اتصفوا وتميَّزوا بها عن غيرهم، واللون الأسمر مما

[1]- السابق، 406.
[2]- نفسه، 94.
[3]- ينظر، عبدالله خمار، فن الكتابة تقنيات الوصف، 87، 93.
[4]- الرواية،406 .

انفردت به اللغة العربية لكثرة انتشاره في بيآتها الصحراوية[1]، والشيخ سليل بيئتها، وتتربّع قريته في الصحراء ومنه فقد ترمز سمرته إلى العمل الدؤوب كفلاح تحت لفح الشمس التي تزيد ثقلا على إرهاق أهل قريته، فشدَّة حرارتها تغلي أدمغتهم[2]، فالبشرة رغم ما اعتراها من علة في لونها لكون صفة البياض مستحبة في الرجل والمرأة، وميزتها أنها قليلة ونادرة في الصحراء وقرية الشيخ تتربّع في الصّحراء، فهذا كله قد يؤكِّد أنّ قيمة الإنسان في جوهر نفسه، وينكشف معدنه بوضوح في معاملاته، وينال بذلك التقدير والاحترام من قِبل قومه وعشيرته،

وقد تميز الشيخ بـــ«جلدته السمراء، كانت تلوح من المثلث المقلوب الذي ترسمها القندورة في صدره. في ملتقى ضلوعه البارزة نبتت شعيرات هيِّنة غزاها البياض بدورها» [3] فبروز أضلاعه عامة على ضعفه البدني والنحافة وهي سمة غالبة على سكان أقصير لحمر فهم «نحاف قصار خلف الجزع والعطش بصماتهم على عظامهم النحيلة وجماجمهم البارزة التي تتستّر بجلدة جافة رقيقة...»[4]، و تعلو أضلاع الشَّيخ شعيرات اعتراها الضعف أيضا إلى جانب بنيته وغزاها الشيب بدورها، ليتواءم بياضها مع لونه الأسمر لتساند بذلك بياض لحيته ولتقوية دلالة سمرة جلده الظاهرة من خلال صدره رُبط ذكرها بالأبيض، وحتى إبراز مساحتها المحددة بالمثلث المقلوب للقندورة –والمرسوم على الصدر– ذات اللون الأبيض وكذا مواطن الشيب فمن خلال هذا الربط والاحتكاك يتحقق التواصل بين اللونين الأسمر والبيض، لكون الأسمر مزيج من اللونين الأسود والأبيض، ويحمل أبعادهما وتكاملهما[5]، وبمجاورته للأبيض يتحقق التحامه بشطر من أصله يتّسِم بالوضاءة وبالتالي يفتر ويتغلَّب على شطره الثاني الأسود المكوِّن له والمعبِّر عن الظلام والموت، كما أن ظهوره على هذه الصورة أمام طلبته، يوحي ببساطته وتواضعه، وبونه عن التَّصنّع، مما يُيَسر التواصل، ويخلق جوا من الأنس بينه وطلبته،

[1]- ينظر، صديقة معمر، شعرية الألوان في النَّص الشعري الجزائري المعاصر فترة (1988- 2007) أطروحة ماجستير 2009- 2010، جامعة الجزائر، ص117.
[2]- ينظر،الرواية، 95.
[3]- نفسه،95 .
[4]- نفسه ، 65.
[5]- ينظر، صديقة معمر، شعرية الألوان في النَّص الشعري الجزائري المعاصر فترة (1988- 2007) أطروحة ماجستير 2009- 2010، جامعة ، ص .

ويسهِّل انتهال العلم وتقديره، لكون الطلبة يجلسون«...قبالة الشيخ على مسافة قريبة يمكنهم من معاينة مفصلة لتضاريس جسمه الذي ينكشف لهم في بساطته»[1]لكونه جالسا مقابلا لهم وعلى مسافة قريبة منهم لصِغر حجم قاعة الدرس لكونها جزءا من داره[2]، وبالتالي يمكنهم معاينة تضاريس جسمه البسيط.

ثم إن قرب الشيخ من طلبته يتحقق من خلال هيئة جلوس المجسَّمة، والتي قد تعطينا دلالات عن نفسية صاحبها وشخصيته، إذ شاع إتيانها في جلوسهم عصر الشيخ، وهو عصر لم يحظ بعد بوسائل للجلوس كالكراسي، ومنه فالشيخ يتربَّع على بضرونة «...حيث تنام رجله اليمنى فوق فخده الأيسر والأيسر تحت الأيمن.وفي استطاعة الشَّيْخ أن يمكث على تلك الهيأة ساعات...»[3] وحين يقصد حلقة العزابة وهو عضو فيها يجلس حيث انتهى به المجلس، ولا يتخطى رقاب الناس وعلى هيئة« القرفصاء بجانب أصغر القرّاء قبالة كبير إعزابن[4] حيث مدخل الحلقة»[5] وقد وصف الكاتب جلسة التَّربيع بدقّة بالغة وكأنّها صورة حيَّة أمام العيان، إلى جانب جلسة القرفصاء قد تنمّان عن تواضع وبساطة الشيخ وعدم ترفُّعه على زملائه في الحلقة رغم أهميته ومكانته فيها ولا على صغار القرّاء ولا حتّى طلبته إذ تتحققان على مستوى الأرض مباشرة، فيكون في نفس مستوى زملائه وطلبته ونفس مستوى ارتفاعهم، وقريبًا منهم جسدا وحتى سماع صوته والاستجابة لايقاعاته وما يبثُّه من علم، إذ تنتخبه واحدا منهم لا يختلف عنهم زيًّا ولا هيئة إلا كونه يفوقهم علما وحكمة، وهذا مما يطلق عنان الأمان والأنس فتتلاشى الحواجز المفتعلة والحائلة بينهم، فيحبِّب لهم العلم وذويه فيحملون همّه بيقين لا زيف فيه ولا جفاء وتظل صلتهم بمعلمهم مرنة وطيدة لا تبيدها مرور الأيام ولا الأعوام ومن ذلك موقفه مع كبار الطلبة إذ لمس فيهم سمات الموهبة والتّفوّق، فقرّبهم إليه، واقتطع فسحة من وقته ليرعى غرسهم، ويرويهم بالمعرفة وبالمقابل اتّخذوه كأب لهم وقدّموا له يد العون في أشغال

[1]- الرواية، 94.
[2]- ينظر، نفسه.
[3]- نفسه،94.
[4]- إعَزَّابَنْ: لفظ أمازيغي مفرده أعَزَّابْ، ويطلق على كلّ من طلب العلم واستقام وصاحب الأخيار من الناس، وامتاز بسمات، ويمتازون بلباسهم الخاص وأحوالهم ويقوم بمهام مخصوصة تطوّعا ودون مقابل. ينظر، مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية، ج2، 700.
[5]- الرواية، 101.

الفلاحة من تأبير للنَّخيل وقطع للغلَّة...وقابلهم بتغييب عرش الصدارة وجعلها مؤقتة بحلقته الدائريّة معهم فهو أصلا يعدُّهم ليكونوا خير خلف للسّلف[1].

أما العمر الذي يعدُّ من سمات وصف الشخصية، يحدده الكاتب، أو يشير إليه بالتقريب، أوبقوله بأنَّ الشخصية تبدو أقل سنا أو أكبر سنا لكذا وكذا...، أو يُفهم من أحداث الرواية، فالراوي في الرواية لم يحدد عمر الشيخ بشكل صريح وإنما أشار إليه فحسب ففي صغره كانت هناك إشارة وحيدة«منذ سن الخامسة كانت أمه تلبسه قندورة الصوف والعمامة ثم تأمره بالقيام مبكرا أيام الجمعة للتوجه رفقة والده وثلة من صبية الحي لقضاء اليوم في مصلى معين لتلاوة القرآن أو الاستماع إليه»[2] لكون تحديد العمر ليس ضروريا، إلا إذا كان مفيدا في تسليط الضوء على الشخصية و إبراز كيانها[3].

فالشيخ رغم صغر سنِّه كان محطّ اهتمام العائلة وأملها المنشود فقد أُنْشأ تحت ظلال القرآن الكريم وأخلاقه النبيلة، ليكون عضوا مستقيما في مجتمعه يُزاحم موارد العلم ويسْتقي من شهدها خِلاله وقِيمهُ السّامية، كما أشار الرَّاوي إلى سمة العمر حين صار الشَّيْخ العضد الأيمن لوالده في مهنة البناء فـــ«عندما تجاوز سن الثالثة عسر كان الشيخ المعين الرئيسي لبالحاج أبناي»[4]

1. 6 الملابس

تعتبر الملابس جزءا من مظهر شخصية الانسان وصورته الخارجية مع كونها لا تعدو جزءا من الجسم لكنها تكسوه وتحيط به وللملابس أهمية عظمى في إطلاق أحكامنا على الناس وتكوين انطباعات عنهم من خلال مظهرهم الخارجي فاللباس يعطينا صورة عن سلوك أصحابه وأخلاقهم، وحتى ثقافتهم، فنحطُّ أو نرفع من شأنهم وملابس الإنسان ترافق تغيرات فصول السنة وتتحوَّل بتحوُّلاتها وكذا أحوال الناس من أفراح أو مآسي، وتساهم في الجانب الجمالي للشخصية،

[1]- ينظر،السابق، 93- 95.
[2]- نفسه،86.
[3]- ينظر، عبد الله خمار، فن الكتابة تقنيات الوصف، 129.
[4]- الرواية، 40.

وتحقِّق الصّفة الإيجابية لها، وقد اكتسبت بذلك الأزياء مكانا مميَّزا في ثقافة الأمّة الواحدة إذ صارت معلما عن ذوقها وهويتها، وتعبِّر عن شخصية الإنسان وترمز إلى عمره ومهنته ومركزه الاجتماعي وفقره وغناه، وكذا على بلده وعصره، فالأزياء دال مشحون بمدلولات تفضي إليها وتربطه علاقة بمستعمليها وهو المدلول ومنه فهي توصف لدلالتها لا لذاتها[1]، لكون اللباس الذي تتحلى به مجموعة بشرية معيّنة في مجتمع ما، يعدُّ واحد من مظاهر حياتها الثقافية ولا ينأى عن ارتباط نسقه بالتصميم المتعارف عليه في النظام المعهود لتلك الأمة ومظهر من ثقافتها إلى جانب معتقداتها وتقاليدها وآدابها المختلفة[2].

وقد تمثَّلت ملابس الشيخ في حائكه[3] الصوفي الأبيض والمصفر مثل أعضاء حلقة العزَّبة يلفُّه على نفسه إلا أن حرارة الصيف لم تتح له فعل ذلك كما يفعل زمن البرد، فالحائك علامة ترمز إلى انتمائه إلى حلقة العزابة إذ هو لباسها الرسمي وكونه منسوج من الصوف لا يحيل إلى الزهد لكون الصوف مادة أساسية لملابس منطقته وبه لباس مختلف طبقات مجتمعه الصغار والكبار على السّواء[4] أما شكله فهو مجرّد قطعة مستطيلة غير مخيط ولا مفصَّل قد يحيل إلى جانب من الزهد والابتعاد المنتمين إلى حلقة العزابة عن زخرف الحياة وبهرجها والاشتغال بجوهر النفس دون المظهر-رغم أهميته- بدليل ابتعاد المنتمين إلى الحلقة عن الحفلات التي تُقيمها القرية والمصحوبة بالمزمار والبارود وعن مجريات الأسواق.

فالحائك الصوفي يعتبر لباس الشيخ وكل من دخل حلقة إيروان[5] يرتديه إذا قصد وجهة المسجد فهو يرمز إلى بساطته وتواضعه رغم مكانته السامية في تسيير أمور

---

[1]- ينظر،عبد الله حمار، فن الكتابة تقنيات الوصف، 136.

[2]- ينظر، نفلة حسن أحمد، التحليل السميائي للفن الروائي،151، 289.

[3]- يطلق عليه باللغة الميزابية أَحُولِي: وهو لباس رسمي لأعضاء حلقة العزَّابة يلبسه في الحلقة وخارجها، ويمثلون به الحلقة في المحافل كالأعراس والأعياد الدينيّة، وهو لباس أبيض صوفي مصْفرخفيف النّسيج، فهو لباس يمنح العزّابي الهيبة والمكانة اللائقة بمهمته في المجتمع. ينظر، مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية، ج1، 21- 22.

[4]- ينظر،الرواية، 69، 71، 75- 76، 86- 87، 89، 95، 99، 366، 395.

[5]- إِيْرْوَانْ مفرده إيرُو وهو لفظ أمازيغي يُقصد به طالب العلم المتفرّغ للدّراسة وحفظ القرآن الكريم، وتعتبر هيئة وقوّة مساندة لحلقة العزّابة لها نظامها وتقاليدها الخاصّة، ولهم مقر خاص في المسجد ومسؤوليات ومهام خاصّة، ويُختار منهم أعضاء حلقة العزّابة. ينظر، مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الاباضية، ج1، 86.

مجتمعه ومن لباس الشيخ أيضا القندورة، المصنوعة من الصوف يلبسها الشيخ فتغطي سروالا من قماش أبيض تشدُّه تكة إلى الخصر ثم يلفُّ عليها حائكه الصوفي، لكونها لباس الشيخ منذ صغره، إذ نسجت له أمّه واحدة له في صباه، وهي لباس العامة في ذلك العهد على اختلاف أعمارهم ولمختلف فصول السَّنة[1]، أما عمامته التي ترافق حائكه وقندورته، فهو يلفُّها على رأسه وهي جزء من لباسه لما كان صغيرا حين يقصد المسجد يوم الجمعة لقراءة القرآن[2]، وهي سمة للمنطقة تحمي الرأس من شدَّة الحرارة، بحكم عمل أهل القرية في مهنة الزراعة، وهي من لباس عامة الناس، وحتى الطَّلبة وحلقة العزّابة في ذلك العهد، ولا تختصُّ بفئة عمرية معيَّنة.

وتُشكِّل مادة الصوف أغلب ملابس الشيخ- مثل ملابس قريته- بحكم تربية الأغنام في تلك القرية والانتفاع بها، فمنه لباسهم لمختلف فصول السنة، وحتَّى صيفا، فهذا يوحي إلى الاعتماد على النَّفس، وتحقيق الاكتفاء الذاتي، باستغلال ما توفِّره المنطقة، فقد بدا الشيخ لباسعيد نوفوس «...كبَّة بيضاء- في زرقة السماء.»[3] بحكم الصِّفة الغالبة على ملابسه، إضافة إلى بياض الشيب الذي اعتراه، وكأنَّ الكاتب أزاح وتجاهل كلُّ الألوان الأخرى، فجعل كلّ أزيائه بيضاء بل كلُّه يُشعُّ بياضا كأنَّه يرمز بذلك إلى منتهى الطهر والنَّقاء أضف فالبياض يتناسب مع شدَّة الحرارة إذ يعكس أشعة الشمس الحارقة ويحميه من أضرارها[4].

فالشيخ اختار قندوة بيضاء بسيطة مع إمكانية اتِّسامها بألوان أخرى تصْبغُ بها تزيدها رونقا فمنها البنِّية والمزركشة كالتي يلبسها بعض شباب القرية، وكذا جماعة إمكراس[5] في الحفلات والتي تدلُّ على النَّعيم والشَّرف[6]فاختيار الشيخ للزَّيِّ الذي يعتبر اللَّون جزءا مُكوِّنًا له، ليس مصادفة وإنما لمبرِّرات ونظرا لأهمية الألوان في حياة الإنسان إذ بدونها تكون حياة الإنسان باهتة فهي التي تمنحها البهجة وتزيد من جاذبيتها

[1]- ينظر،الرواية، 66، 86، 89، 158، 385، 430.
[2]- ينظر، نفسه،89.
[3] - نفسه، 430.
[4]- ينظر، نفسه ، 385.
[5]- ينظر، مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية، ج1، 54.
[6]- ينظر، الرواية، 73-75، 138، 209.

إذ تعدُّ الألوان أهم عناصر الجمال وتزداد أهمية الألوان بتعدد مستويات التَّعامل معها وتعدد الوظائف التي تقوم بها وللألوان بعدٌ اجتماعي في أيَّة حضارة لكونها تفصِح عن علامات اجتماعيَّة عرفيَّة تواضع عليه أصحاب تلك الحضارة واللون الأبيض مشحون بعدَّة إيحاءات تنعكس على الشيخ وحياته فهو يعبِّر عن صفاء النَّفس ونقاء السّريرة والرِّقة والطُّهروالبراءة وهو لون الطَّهارة- إذ به يكشف أدنى دنس يصيب الثَّياب ولا يمكن حجبه- وشرف النَّسب ولون القداسة والعبادة ويرمز إلى التقوى والصلاح والبعد عن الشرور، وقد وصِف زيُّ السَّادة وأشراف القوم بالبياض للدلالة على طهارتهم وعفَّتهم وحتى شرفهم، وقد يحمل اللَّون الأبيض دلالات كالفراغ والتِّكرار الممل والسذاجة وعدم وضع الأمور في مكانها المناسب[1]، وهذا مالا يتواءم مع ما أثبته الشيخ من انتاج وكفاءة ومكانة راقية في مجتمعه، أمَّا كون لباسه بسيطا رغم قدره العظيم في قومه، فقد يكون إشارة إلى أنَّ سمو الإنسان يكون بفكره لا بمظهره-دون نكران لقيمة ذلك- وأنَّ إثبات الكفاءة يكون بترجمة مكنونات النَّفس وقيَّمها، إذ ذلك يسم والإنسان بين أهله وعشيرته، وذلك ربما علة اختيار الشيخ لنفس لباس شرائح المجتمع وطبقاته الشَّعبيَّة عامة ليوحي لناظريه بأنه أحد أفرادها وبعيد عن خلق تكلُّف أو تنكُّر أو تمييز جائر أو إرباك قد يحصل بين صفوف مجتمعه ويكدِّر صفوه.

بعد وصف لمعظم أجزاء جسم الشيخ و حتى لملابسه و هيئته يرجع الكاتب أدراجه إلى الوصف العام لبدنه ليعطينا صورة عن بنيته من خلال تأمل صاحبه بحوص له ، إذ«التفت [...]إلى الشيخ مستطلعا مراده- فبدا له وهو ملفوف في الحائك الأبيض، صغيرا هينا قد ضاع جسده فوق الكتلة المندفعة من تحته...»[2] فـــ« يبدو[...]ضعيف البنية- منحني الرأس— فكيف يجرؤ من زيد بسطة في الجسم على مبارزته؟»[3] قاصدا بذلك باسعيد نفوس الذي يتعقبه ليقتله ، ويتعجب بحوص من كون الشيخ «...هين المظهر-ضعف البنية- لا يتطاول إلى الناس من موقع قوة تخضعهم — لكن يحاول جهده أن يتجنب مواقع الصدام معهم— رغم قدرته عليه»[4].

[1] - ينظر: أمل محمود عبد القادر أبو عون، اللون وأبعاده في الجاهلي- شعراء المعلقات نموذجا- ، 13، 82، 169، 199، وينظر، محمد مصطفى أبو شوارب و أحمد محمود المضري، قراءة الوعي الأدبي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الإسكندرية- مصر، (د.ط)، 2004، ص، .

[2]- الرواية، 366.

[3]-نفسه،362.

[4]-نفسه،409.

فالشيخ يتسم ببنية ضعيفة و انحناء للرأس لضعفه العام و هذا متأصل فيه منذ صباه بشهادة ندِّه باسعيد نوفوس الذي يحمل عن الشيخ«...صورة الصبي الضعيف الرقيق صبي يعجز عن إظهار البراعة في تسلق أدنى جدار للوصول إلى أعشاش الطيور...»[1] ويجافي شقاوات الأطفال فالضعف العام صفة غالبة على أهل قريته أيضا لندرة الغذاء و الكد المجهد و المتواصل فابن الشيخ عمر رغم صِغَر سنِّه لاحظ ذلك وهو يتابع مجريات عرس جماعي«...تجاويف الخدود التّي حفرها الجفاف، زادها روعة بروز عظام الجماجم التّي تنْفردُ بالقسط الأوسع من الرّأس»[2]، فهو يتساوى معهم حتى في هذه الصفة، فرغم ضعفه العضوي و البدني و بعده عن امتلاك عضلات مفتولة تمنح له قوامًا ينال به احتراما و مكانة وكلمة وأنصارا في مجتمعه و قد نال باسعيد نوفوس نصيبا منها ، أما الشيخ فقد نال ما فاق ذلك كله بعقله وفكره وكفاء ته حتى صار بفعل ذلك مهددا بالقتل من قبل باسعيد نوفوس لكلمته المسموعة ذات التَّأثير على قريته في الأمور المَصِريَّة وفي تعديل ما قرأه كبار قريته في شأن دية الحاج صالح – زميل الشيخ في الحلقة – إذ راح ضحية الفتنة التي أراد إخمادها في قريته ، و ما زاد الأمر تعقْيدًا عدم الوصول إلى القاتل الحقيقي.

2- البناء الداخلي للشخصية المثقفة

إن المظهر الخارجي للإنسان يعطينا فسحة عن شخصيته ولكنه لا يعبر عنها بصدق ولا عن مكنوناتها المتمثلة في أخلاقه وطباعه وحتى مزاجه وتعامله مع الناس وعلاقته العاطفية، إن كثيرا ما تكون المظاهر براقة و يعلوها قناع الزيف والتصنع ولاتعكس حقيقة ماهية النفس، وبذلك كانت معرفة طوية الإنسان مهمة للتعامل معه، ولكن من العسير أن تعلم خبايا النفوس وسرائرها، أن لا تعدو علاقتنا بالآخرين سوى في إطار الظن والتخمين حين الحكم عليهم بالفضيلة أوالرذيلة...وفي كثير من ذلك تخيب توقعاتنا ولا نصل إلى يقين في

[1]-السابق،385.
[2]-نفسه،79.

أحكامنا وحتى في أقرب الناس إلينا، والأمر نفسه ينطبق على الشخصية الروائية التي برع الكاتب في اقتنائها وتشكيل مظهرها؛ ورسم سرائرها، وللمظهر الداخلي للشخصية مقومات تتمثل في البعدين النفسي والاجتماعي، ويقصد علماء النفس بالبعد النفسي الجانبين العقلي والانفعالي الوجداني، فهذه الأبعاد تتفاعل وتتداخل وتتكامل فيما بينها ويؤثر ويتأثر بعضها ببعض، فطباع الإنسان تتأثر بالبيئة والتربية رغم أنها فطرية، أما المظهر العقلي فتزكيه الثقافة والتربية...ووجود أي خلل في الشخصية يرجع إلى انعدام التكامل بين هذه الأبعاد، وتتمثل مزايا المظهر الداخلي في القدرات العقلية كالدهاء والغباء والطباع كالبسالة والجبن والخلال كالوفاء والخيانة أضف إلى ذلك السلوك الاجتماعي كمخالطة الناس أو العزلة إلى غير ذلك مما يتصف به الإنسان من عيوب أومزايا[1]، ويتميَّز المظهر الداخلي لشخصية الشَّيْخ بمقومات تتمثَّل في:

1- البيئة

تعد من أهم المقومات ويقصد بها البيئة الطبيعية والاجتماعية، أما الطبيعة فهي المنطقة التي تولد فيها الشخصية، وتنمو تحت فيئها وتستقي منها صفاتها وجزءا من مزاجها وطباعها وقد تتمثل البيئة الطبيعية في قرية أم مدينة في الصحراء أم في البحر فالبيئة الريفية الضيقة يعرف الناس فيها بعضهم بعضا، أما في المدينة الكبيرة، فكثيرا ما لا يعرف الجار جاره[2].

فالشخصية المحورية (الشيخ) تقطن في قرية صغيرة تدعى أقصير لحمر، نُصِبت على ربوة جعل منها حصنا منيعا، في الصحراء القاحلة[3]، تحديا للظرف الطبيعية القاسية، وليحظوا بالاطمئنان لبعدهم عن غارات الطامعين[4]يحيط بالقرية سور يعلوه برج كبير فوق البوابة الرئيسية للقرية، بالبرج فتحات للمراقبة والرمي لدرء كيد الأعداء ومن تسول له نفسه السطو على القرية وتلتقي فيه جماعة إِمَصُّورْدَانْ[5] قُبَيْل المغرب للحراسة والنجدة فقد امتازت قرية

[1]- ينظر، عبد الله خمّار،فن الكتابة تقنيات الوصف، 163.
[2]- ينظر، نفسه.
[3] - ينظر، الرواية، 57.
[4]- ينظر، القرادي ،رسالة في بعض أعراف وعادات وادي ميزاب ص26.
[5]– لفظ أمازيغي مزابي يطلق على هيئة اجتماعية عرفية وأمنية في نفس الوقت في وادي مزاب بالجزائر تضم حفظة القرآن الكريم وغيرهم ويشترط في المنتمين إليها صفة الصلاح، وهي هيئة تابعة لحلقة العزابة تهتم بحراسة البلدة نهارا وليلا

الشّيْخ كالقرى المجاورة بالحصون والأسوار كضرورة عمرانية لكونها مباني دفاعية لها طابع عسكري، توفّر الأمن والاستقرار للمدينة والقرية، فأغلب المدن التّي نشأت في العصور الوسطى تمتاز بأسوار عالية حصينة، أما علة اختيار منطقة ميزاب والاستقرار فيها مع كونها صخرية تكاد تنعدم فيها الحياة إنّما هو الحفاظ على العقيدة من الانحلال، كما نجد أنّ قرية الشّيْخ كغيرها من المدن الميزابية تقع في المرتفعات لصدّ أخطار السُّيول والأودية، كما تمتاز بأبراج للمراقبة وصدْ هجومات الأعداء من جهة وللهيمنة على كلّ الشَّبكة والواحات لمراقبة السُّيول والأودية وتجنُّب أخطار الفيضانات[1].

فالقرية تعاني نوبات الجفاف المتواصلة وكذا من جاورهم من القبائل فـــ« جدلية الجفاف والغيث حددت وثيرة الحياة في اقصير لحمر.»[2]، فـــ« الجفاف هاجس يخيم باستمرار على أذهان سكان أقصير لحمر ومن جاورهم من القبائل.»[3]، ويكلف المزارعين تجميع الماء من الآبار مما يحدّد الحياة على السطح[4] وتتمثل ثرواتها المائية في السيول المتباعدة التي تصيبها، فتحيي أراضيها العطشى، وتروي آبارها التي نضب ماء أغلبها، إذ تعد مورد القرية، ويستقبل الناس السيل بحفاوة بأهازيج وزغاريد لطول جفافه وجفاءه فـــ« لحظات الفرجة في السَّد كانت بالنسبة للجميع قوسا انفتح في مجرى الأيام الجاف ليتذوقوا ولو للحظات بعضا من الكرم.»[5]، و«أحاديثهم كانت تكرارا لأخبار الجفاف وآثاره في آبارهم وأغراسهم. وترقبهم للسحب الماطرة وترقبهم للغيث»[6] فالسّيل يُخزّن في سدود بها مصاريف تُسهم في توزيع حكيم وعادل على

وتقوم بخدمة المصلحة العامة ولاسيما في زمن النكبات كفياضانات السيول وتسهر على أمن واستقرار القرية. ينظر، معجم مصطلحات الإباضية، ج1، 52- 53.

[1]- ينظر، شافية العبد اللاوي، التنظيمات الاجتماعية والدينية الميزابية في العصر الوسيط من القرن الخامس إلى السّابع الهجري(9م- 11م)، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 199- 2000، ص، 102- 103، 105، 107.

[2] - الرواية، 64.

[3] - نفسه، 57.

[4] - ينظر،نفسه، 52- 53.

[5] - نفسه، 114.

[6] - نفسه، 67.

حقول الغابة التي أعياها الجفاف وأيبس زرعها[1] حتَّى بلغ أنّ«...أتفه الأسباب هي التي توقد نيران الفتن[...] تحت وطأة فرط الجلد إزاء فتنة الجفاف. أدنى عرجون تمر في الظروف تلك قد يكتسب أهمية بالغة»[2]،كما أن القرية بحكم وجودها في الصحراء وزيادة على أزمة الجفاف تثورفيها رياح حارة ودوامات من الغبار وتشتد فيها الحرارة المرهقة، تستترف ما بقي في البدن من جهد وتزيده إرهاقا، إضافة من قلة الهواء وجفافه، مما تجعل التنفس عسيرا[3]، كما أن سكان القرية تواءمت مع الظروف القاسية للمنطقة واتخذت مما توفره الطبيعة في المنطقة من مواد وأشجار مادة أولية لتيسير حياتها وإعطائها مرونة كصنع القِرَب والدِلاَء من جلود المــَعِز والبَعير وتَتَّخذ من جذوع النخيل وقُضبان الجريد هيكلا لتسقيف منازلها المصنوعة بالطوب والجبس والحجارة ، كما أن قرية الشيخ ليست معزولة عما يحيطها فأهلها يمارسون الفلاحة والتجارة في شمال الجزائر ويجلبون القمح والشّعير من مدن الشمال الجزائري وبالمقابل يرسلون إليهم قوافل تحمل الملابس الصوفية التي تنتجها القرية[4] فرغم الجفاف وشدة وشدة الحر وقساوة العيش كان الإصرار والتحدي الذي أزهر الصحراء وأحالها واحات مزدانة بالأشجار والنخيل ، وساهم في صقل نفوس ناسها وترويضها والشيخ فرد منها فقد كرست فيه الظروف الصعبة للبيئة الطبيعية مِراسا طويلا وأكْسبت طباعه جملة من المزايا النبيلة ، قوة التحمل والإصرار والتمسك بالأمل مهما كانت النوازل ، وكذا شدة مقاومة وجسارة وصلابة نفس لاتَكل ومنتهى الاعتماد على النفس والمساهمة في الاقتصاد وتحقيق اكتفاء ذاتي بمواد بسيطة تجود بها الطبيعة الصحراوية، كما منحته مزاجا مرنا تواءم مع كل الظروف وتقلباتها ويبلغ منتهى درجات التحمل والتكيف ويعتبر به شعور عذب بطعم الحياة بعد الكد الحقيقي والجهد الصادق، فكل هذا عكس إيجابيا على ما تقلّد الشيخ من مسؤوليات ووظائف[5].

---

[1]- ينظر، السابق،52، 55، 64- 65، 69، 73، 82، 112-114، 119.

[2] - نفسه، 104.

[3]- ينظر، نفسه، 8، 17، 65، 82، 112، 114، 116.

[4]- ينظر، نفسه، 57، 66- 68.

[5]- ينظر نفسه، 18، 40، 53، 86، 191.

تتأثر الشّخصية بالفضاء الذي تعيش فيه ويندمج مها ويؤثر فيها فقد اختار الكاتب أن تكون الصحراء وبالضبط القرية والتي تعيش شبه عزلة الفضاء الأنسب لشخصياته إذ ألبسها وكساها طباعها وطبيعتها، فهو فضاء رحب سعة الصحراء فضاء يمنح الإنسان بُعد النّظر وفضاء للتأمّل بعيدا عن المدينة وبهرجها الذي يأسر النّفس ويذكي عدم الاكتراث بالغير والسّعي نحو الماديات والموسوم بالمتاعب الاجتماعية والآفات النّفسية كالقلق والتّوتر...فالصّحراء تمثّل الهدوء والاستقرار وتمنح الطمئنينة لأهلها فقد صبغ ذلك حياة الشّيخ وهيمن على أغلب شخصيات الرواية، فالشيخ حافظ على هدوئه وفق مزاج الكاتب وصاحب الهدوء مزاجه من أوّل الرواية إلى نهايتها رغم مااعتراه من اضطراب وتهديد بالقتل ورحيله إلى قرية أخرى حتى تهدأ الأوضاع في قريته وحتّى وهو مسافر في الصّحراء كان الهدوء سجيّته والتأمّل طبيعته وحتّى وهو يُقابل باسعيد نوفوس في نهاية مطاف الرّواية وهو بين الحياة والموت ويملك القدرة على الفتك به والتّخلص من شره وكيده وصفه الرّاوي بأنه كبة بيضاء هامدة كناية عن هدوئه فلم تأثّر فيه المِحن و لم تزعزع من ثباته وكيانه وكان شخصية هادئة كثيرة التأمّل في الكون وروعته والنّفس وأسرارها فقد تجاوز مااعتراه من رزايا وماكابده من نكبات وحوّل المِحَن إلى مِنَحْ فظفر بالمكانة المرموقة في مجتمعه وكان مورد هداية لأفراد قريته.

أما البيئة الاجتماعية فهي التي يستمد منها الإنسان قيمه الخلقية راقيه أم سافلة وكذا عاداته وتقاليده إضافة إلى مستواه الاجتماعي المتسم بالفاقة أو اليُّسر، والظروف العائلية وما تكتنفها من علاقات مفعَّمة بالجفاء أو الألفة، والمدرسة التي عهدتها الشخصية والحي الذي تقطنه فكل ذلك يترك بصماته العميقة على حياة الشخصية سلبا أوإيجابا ويرافقه في أحواله المختلفة، ويسفر عن سلوكه ويُسهم في فهم تصرفاتها المختلفة[1] وقد اتسم مجتمع الشيخ بقيم[2] خلقية مميزة ترعرع الشيخ تحت فَيْئِها وتبدو

[1]- ينظر، عبد الله خمار، فن الكتابة تقنيات الوصف، 169.

[3]- فـ «القيم المبادئ الأخلاقية والجمالية والمعتقدات والمعايير التي تعطي ترابط وتوجه القرارات لشخص وأفعاله، حيث يعتنق هذه المبادئ أو تفرض عليه من أغلبية المجتمع، وقد تعرف بالمعايير الاجتماعية. »، جواهر محمد الدّبوس، القاموس التربوي،1100.

من خلال ما يَحظى به من تكريم هو ومن مثله لكونه صاحب العلم والحكمة والاحتفاء به وبذل منتهى الجهد لحمايته ولو أدى ذلك لنشوب حرب ضد قرية الشيخ وهذا ما أقره شيخ مدينة العطف لما أراد الشيخ الرحيل إليها إلى حين خمود لهيب الفتنة في قريته[1] وذلك ما أقرّه فرد من قريته مخاطبا باسعيد نوفوس«غضبك لا مبرر له بالأخص اتجاه انسان نقدره ونوقره، لكل منا مقامه. هذه الخصومات لا تناسب محلا يتذاول فيه العلم وليس من حقك أن ترد على الشيخ بمثل هذه الاهانة»[2] فرحيل الشيخ كان لحمايته والذود عنه من طرف طلبته ولوكلّف الأمر قتل باسعيد الذي يهدد الشيخ بالقتل وهذا لحبهم للعلم وصُحْبتهم لذويه والاستئناس بأهله وخشية بعدهم عنه فهذا ما يكنّه الطّلبة لشيخهم الشيخ،وبالمقابل تواضع أهل العلم لهم ومساواتهم معهم حتى هيئة ولباسا[3] مما خلق جوا من الأنس بهم ويسرا في تحصيل معارفهم، وكذا عمله بدون مقابل في سبيل خدمة قريته من خلال مهامه في هيئة العزابة- وغيرها من الهيئات ومن انتمى إليها- المتعددة المهام الاجتماعية فمنهم الإمام والواعظ والمؤذن...ولايتقاضى العزَّابي عن هذه الوظائف أي أجر مهما كان إلا ما ينال من قسمة الصدقات في المسجد مثله مثل أي شخص عادي صغيرا كان أو كبيرا[4] كما تميز أهل قرية الشيخ بإكرام أهل العلم والغرباء عن القرية، ويظهر ذلك في حسن صحبة الطلبة لشيخهم الشيخ والتخطيط لترحيله من القرية حماية له من خطر القتل وتكليفهم الفارس بحوص الصديق الوفي لشيخهم وهو غريب عن القرية ليرافقه ويذود عنه الأخطار المحدقة في رحلة سفره حتى لا يلفتوا إليهم أنظارأهل القرية بغيابهم من جهة وحتى يسلم شيخهم من خطر القتل[5] وتتعدّد صور القيم الخلقية وتبرز في موقفهم من عائلة من الغرباء إذ قاموا بدمجهم في إحدى عشائرهم و لم يكتفوا بذلك وإنما فضلا عليه ووهبوهم قطعة ارض وتطوعوا جماعات بوقتهم في الإصلاح من شأنها وحفر بئر بها ودعمهم بفسائل وأنعام لبداية مسارهم في زراعة الأرض، واستفتحوا ذلك بمأدبة من خالص مالهم، فواصل الغرباء دربهم حتى صاروا مثالا في الكد والإنتاج بعد

---

[1]- ينظر،الرواية، 194، 196.

[2] - نفسه، 180.

[3]- ينظر،نفسه، 189- 190، 193.

[4]- ينظر، القرادي، رسالة في بعض أعراف وعادات وادي مزاب تح: يحيى بن بوهون حاج ا محمد، 61-62

[5]- ينظر، الرواية، 194، 196- 197.

زمن قصير، وقد كان لأهل القرية في كرم النفس باعا بفدائهم بالنفيس من أجل إخماد الفتن وتحقيق الاستقرار للقرية ويظهر ذلك بمحاولة العزابي الحاج صالح اعتراض أصحاب القلوب المشحونة بالغيظ جراء طلب ثلة من غرباء القرية حجب السيل عن الغابة لما تحدثه كثرته من إتلاف للمحصول وهذا ليلة قدوم السيل وبإقدام الحاج صالح لطمس نار الفتنة أصابته طلقة البارود فهوى ميتا، وكذا تضحيات أفراد القرية في الصلح بين العشائر المتصارعة والتقريب بين مسؤوليها ليتدرج ذلك إلى كافة أفرادها لما أقدموا عليه من حُسن الصحبة والتوجيه للمجتمع دون خشية ولا وجل[1].

ومن قيمهم الخلقية خصلة استشارة كبار القوم والانتهال من علمهم في مجال الأنساب والأعراف وتأبير النخيل و ميقات جَني التمور، وإنشاء الأحداث منذ طراوة عودهم على جو إيماني ببعثهم إلى حلقات الذكر ليحفظوا القرآن من جهة وتوطيد علاقتهم بعالة القوم بالتَّقرب من مجالسهم من جهة أخرى ليكونوا قدوة تُحتذى وليتلاءم الجيلان وينأى الاحتدام بينهما، ويتحقق الإنتاج المثمر والمزدهر للقرية[2] واعتماد سمة الكفاءة والتخطيط وتقليد كل جماعة مسؤولية من مسؤوليات القرية خاصة بها ومناسبة لها، لتتكامل المسؤوليات، ويتحقق النّماء الفعّال فهناك هيئة تدعى لاَوَمْنَا[3] فهناك أمناء للسيل يشرفون على مراقبة نظام تقسيم مياه السيول والسدود بالقسط بين بساتين البلدة كل حسب مساحته وعدد غرسه بهدف التحكم في الاستفادة الحكيمة من مياه السيول[4] وأمناء للبناء يحولون دون تطاول البنيان وحجب نور الشمس عن الجيران المتجاورين له وفق ناموس تضبطه أعراف القرية ويضمن للجميع الاستفادة من أشعة

---

[1]-ينظر،السابق، 125.

[2]- ينظر، نفسه،87.

[3]- مصطلح يطلق على أفراد دورهم مراقبة مياه السيول والسدود ونواحي الحياة الاجتماعية والعمرانية بميزاب ويختلفون بتعدد المهام الموكلة إليهم، فهناك أمناء للسيل والسوق وللبناء...فالهيئة تدل على تكفل المجتمع بالاشراف على مختلف نواحي الحياة لضمان أمن وراحة وطمأنينة أهل البلدة. ينظر: مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية، ج2، ص930.

[4]- ينظر، نفسه، 931.

الشمس كما يراعون حق الشارع العمومي وترفع إليهم الشكايات المرتبطة بالبناء[1] وحتى للسوق أمناء يراقبون أسعارها ويراعون حقوق الناس ويحافظون عليها، ويشترط في أداء كل هذه المهام، السرية التامة والحفاظ على أعراض الرعية إلا بما يسهم في حسن قيام مصالح القرية فأهل القرية حققوا المساواة بينهم فما يجمعهم أكثر مما يفرقهم فقد تساووا مظهرا وزيّا وفي بنيتهم الجسدية المتَّسمة بالنحافة وحتى في ديارهم المتلاصقة والتي علت بما توفَّر لديهم من مواد بسيطة جادت بها الطبيعة كجذوع النخيل...، وكانت أصلا لإيوائهم وحمايتهم من الظروف الطبيعية القاسية كشدة الحرارة وليست للتفاخر والتعالي بدليل تشابهها، وهذا مما حقق الانسجام بين أفرادها لكن الظروف القاسية للقرية، كالفقر والمجاعة والجهل...، أفلتت قيم سلبية حيال الغرباء الذين انخرطوا في إحدى عشائرها منذ أمد بعيد، وحرك ذلك كله سوء الفهم والبون في الرأي وتدخل العامة دون وعي مما أطلق عنان الفتنة فبلغ فتيلها حلقة العزابة وحتى الشيخ مما وصم القرية بالاضطراب واللاَّتوازن وأرْبَك أمورها إلا أن ذلك كان عارضا لظروف أصابت القرية و لم يدُم ذلك طويلا[2] فالقيم الخلقية كانت الغالبة فقد أضفت صبغة خلابة على القرية إذ كلّلَت جملة من الخصال النبيلة كالكرم والاحترام المتبادل لاسيما بين الأجيال المتباينة، وكذا إكرام أهل العلم وتبجيلهم والورود من معين علمهم فكل هذا غرس في الشيخ منذ صباه قيم كريمة شبَّ عليها ومنحته الرَّاحة والطّمأنينة وحب الآخرين ورآها واقعا حيًّا مجسَّدًا بداية من أسرته فنهل هذه الخِلال منذ صباه وبات رائدا فيها وكانت له نعم عون في خطاه وبلوغه عرش المكانة الراقية في مجتمعه.

وفي البيئة الاجتماعية يتلقى الإنسان منها عاداته وتقاليده وقد تميزت قرية الشيخ بعادات وتقاليد منها: عمارة المساجد وعقد مجالس للذكر وقراءة القرآن بين أوقات الصلاة وإرسال حتّى الأطفال إليها ليشبّوا تحت ظلها منذ الصغر، وتوزَّع في هذه المجالس صدقات متمثلة في نصيب من التمر والخبز على الحاضرين، ما تقيم القرية أعراسًا جماعية[3] للمتأخرين ذهنيا وتطلق عليهم الأبرياء، وذلك في ساحة السوق بعد استقبال التبرعات من أهل القرية من لوازم

[1] – ينظر،الرواية، 10 .

[2]- ينظر، نفسه ،196.

[3]- الأعراس الجماعية: نوع من التكافل الاجتماعي كأن يزوج أحد الميسورين ابنه ويضم إليه عدد من الشباب وينفق على الجميع، أو يشرف على تنظيم العرس المسجد... وتكون نفقة العُرْس بين العُرُسْ بالسوية. ينظر، مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية، ج2، 680.

المأدبة وملابس زاهية الألوان...كل واستطاعته وتزدان الحفلة بمنصة مزيّنة بالزرابي وجريد النخيل يتصدّرها العرس، ويقام لهم احتفال تقوده فرقة ترتدي للمناسبة لباس الأبهة وتتلوا أغاني مخصّصة ويدعى إليها كل أهل القرية وتختم بدعاء جماعي ويعتقد الناس أن السيل يعقب مثل هذه الوقفات بعد جفاف طويل، وتزويج المعوّقين من أهل القرية ودعمهم ماديا وتوفير لهم كل متطلبات العُرْس من طعام وملابس...[1] يُعقد يوم لِدَرْسِ[2] القمح والفول ويطلق عليه عيدالربيع ويوم الزيارة...[3]يلبس فيه الناس أجمل ما عندهم من الثياب، يأخذ إليه الناس التمر والخبز وحليب الماعز حسب استطاعة كل فرد، ويتجمَّع الناس في حلقات ويوزَّع عليهم ما أحضروه[4]، كما يقيم أهل القرية تعاونًا جماعيًّا يطلقون عليه تْويزَا بعد احضار أهل البنت الضروري من الصوف لِنَسْج ما يتطلَّبه جهاز العَروس من فُرُش وأبْسِطة، كما تُقيم نساء القرية مأدبة في بعض الأحياء، وبعد الانتهاء من الأكل يتِمّ اختيار رموز(عود، خيط،...) لكل إمرأة ثم تشرع إمرأة من بينهن لا تعرف صاحبات الرموز فتسرد فألاً[5] لكل رمز ويطلقون عليه أَلاّوَنْ وهو الفأْل والذي هو عبارة عن مسامرة عائلية ومزيج من التأمُّلات والأدعية والحِكم والأغاني والأماني...تُسْتوحى من شكل الرَّمز وبعد كلام مسْتفيض لما يوحي به الرّمز يوضع كلّ رمز منها على سَهْم من سِهام لحم المأدبة المُشكَّل من أحشاء الذّبيحة، فالفأل يبعث الأمل في القلوب المنقبضة ويُحيلها انشراحا، كما يقيم الناس في دُور القصر شتاء ولمـــَّا يحِلُّ فصل الصيف يقصدون دُور الغابة، وهكذا يتعاقبون على طول الأعوام[6]، فهذه العادات والتقاليد أضْفَت على القرية جوًا من الحيوية وروح الأمل في ظل قساوة المناخ الذي تواءمت معه، فكل هذا وطَّد عُرى العلاقات العائلية والاجتماعية وأسْهم

---

[1]- ينظر، الرواية، 35،71، 73- 76، .

[2]- من «دَرَسَ: دَرْسًا...الحنطة: داسها.»، مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، 279 .

[3]- هي مناسبة لتعريف النّاس بتاريخهم وفضائل أجدادهم، والزيارة هي جولة تكون تحت إشراف العزّابة وتنطلق من المسجد بمشاركة الشّباب والأولاد وتنتهي مع آذان صلاة الظهر. ينظر، مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية، ج1، 453.

[4]- ينظر، الرواية،68،

[5]- فالفأل« قول أو فعل يستبشر به،[...]وقد يُستعمل فيما يكره...»، مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، 671.

[6]- ينظر : الرواية،68،113، 176، 178،

في استقرار القرية ونَّمى في نفس الشيخ منذ الصغر مُثُلاً عُلْيَا وسجايا نبيلة فكان نموذجا حيًّا معبِّرا عنها.

وإن الإنسان بحكم عيشه في الجماعة، فهو يعد واحدا منهم، ويعرف مستواه الاجتماعي بمقابلته بمن سواه، من خلال ما يتوفر لهم وخصوصا المأوى والمؤونة، إذ من المهم إدراك «...المستوي الاجتماعي للشخصية وموقعها من السلّم الاجتماعي، ولاسيما أن المعيار المادي هو السائد لدى معظم الناس في كل العصور رغم رفض الأديان لهذا المعيار واحتجاج المصلحين عليه»[1] فالشَّيْخ يملك دارًا«بنيت ككل الديار بموفور مابيد الناس من مواد»[2]«...وهي من نوع الديار الصّغيرة»[3] فالشيخ يملك دارا من نوع الديار الصغيرة، فهذا يحيلنا إلى توفر ديار كبيرة في القرية تأوي إليها الناس الأوسع عيشا منه، كما أن دار الشيخ تشبه الديار الأخرى في أقصير لحمر، إذ تختلف الديار فحسب من حيث الحجم كبرا أو ضآلة وتستوي مظهرا وباطنا[4] لكونها على مجملها أقيمت من نفس المواد التي توفرها الطبيعة من طوب وأجزاء من النخيل، كما أنّ جدرانها لا ترقى إلى التعالي على غيرها من الديار المجاورة لها، لكونها موجودة أصلا لتقيل الناس؛ وتقيهم من الظروف الطبيعية القاسية«...فالدِّيار متجاورة متساندة...استجابة للحياة بما توفّر من آليات مودعة رغم اختلاف اهوائهم...»[5]، ويوحي ضعف بنياتهم لضعف المؤونة الناتجة عن الجفاف المستمر على القرية، فهذا يؤكد تساويهم في المستوى الاجتماعي والذي تُكلِّله نظرة الشيخ إلى قريته«...كونها مدينة فقيرة. أوهن العناء خلقتهم فتراهم مثل ديارهم محدودي القامات يتأرجحون بين الاعوجاج والاستقامة »[6] بأنها مدينة فقيرة، والشيخ يعد فردا منها، فمظهره وبنيته الضعيفة؛ وما يعانيه من جفاف في حقله، هي نقاط تجعله متساويا لقريته المتَّسمة بالفقر

[1]- عبد الله خمار، فن الكتابة تقنيات الوصف، 40.

[2]- الرواية، 85.

[3]- نفسه، 20.

[4]- ينظر، نفسه،20 ، 85- 86.

[5]- نفسه، 85.

[6]- نفسه، 86.

إذ يجعله قريبا منهم، يقاسمهم معاناتهم، فهذا يؤكد أن المثقف لا يُعرف بغناه أو فقره، أو بما أطلق من يد طائلة- دون مانع لذلك - وإنما بما تميَّز به من وعي؛ وجاد به من حكمة[1].

2-الأسرة: من مظاهر البيئة الاجتماعية الظروف العائلية، وتظهر من خلال الأسرة التي تعدُّ أهم لبنة في المجتمع، وأهم سند يقوم عليها، وإنّ مما يُحقِّق للأسرة التكامل أو التنافر العلاقات التي تُنسج بين أفرادها، قد تتسم بالحب والتآلف والذي يُعزِّز تماسكها وثراءها، أو الشقاق والجفاء الذي يُنذر بفنائها و تفكُّك عُراها، وتُقاس العلاقات العائلية بمستوى التواصل بين مختلف أعضائها، بداية بالوالدين ثم الأولاد والعائلة بكاملها، وقد اتصفت علاقة الشيخ بعائلته؛ وأقرب الناس إليه أمه وأبوه، بالاحترام المتبادل،وبأمِّه، بالرِّضى عن ولدها الأكبر فـــ«...المشاعر التي تكنها تعبر عن مكنون الرضا فالشَّيْخ ولدها الأكبر ...»[3] أما حيال زوجه فقد زكت بالمحبة والاحترام المتبادل فهي«...تحب سماع صوته»[4] أو أمَّا مع أولاده فهم منتهى استقراره وأمله إذ يعتبر مجرد رؤية وجوههم تغنيه عن أي شيء آخر ولسان حاله«...وجوهكم تكفيني ياأولادي»[5]، أما علاقته بعائلته الكبيرة فقد اتصفت بخصلة التعاون في زمن قطع غلة التمر، وحتى النساء والأطفال يتعاونون على ذلك، ليعبِّر هذا عن مكنون التآلف الذي حافظ على كيان عائلته، إذ يتواتر ذلك عند كل عهد لجني المحصول[6]، وللأسرة أهمية عظيمة إذ تقوم«...بدور حاسم في الارتقاء المعرفي باعتبارها البيئة الاجتماعية المباشرة والأولى التي يرتقي الفرد في إطارها، وكذلك بوصفها، الاطار الاجتماعي الأول الذي يتعامل مع الطفل ويتفاعل معه.»[7] فالأسرة هي القدوة للابن فقد اتَّسمت أسرة الشَّيْخ بالوعي وحب العلم ببعثه إلى مجالس العلم والذكر وهو لايزال صغير السِّن وكان والده نِعْم قدوة له في ذلك فـــ«...الوالد حريص أن يكون في مجالس الذكر منذ الاستفتاح»[8]

---

[1]- ينظر، نفسه، 85- 86.

[2]- نفسه، 24.

[3]- نفسه، 24.

[4]- نفسه، 25.

[5]- السابق، 25.

[6]- نفسه ، 57- 58.

[7]- معتز سيد عبد الله، و عبد اللطيف محمد خليفة، علم النفس الاجتماعي، 255.

[8]- الرواية، 87.

فالتواصل والوعي الذي يُظلِّل أفراد الأسرة منح الشيخ دعما لينمَّي ذاته ، ويصقل مواهبه، ويُغني مجتمعه من علمه وثقافته، ويكون كريما وجوادا على قريته التي أسْبغت عليه من آلائها[1].

3- المدرسة: تعتبر من البيئة الاجتماعية، ويتلقى فيها الإنسان مختلف العلوم والمعارف، والأخلاق النبيلة، وتفتق ذكاءه، وتنمِّيه، والذكاء يشير إلى القدرات العقلية، التي تمكِّن الإنسان من التَّعلم، وتذكُّر المعلومات، والوصول إلى حلول للمعضلات التي تواجه دربه، والبيئة التي درج فيها طفل هي التي تتيح لهذا القدرة والدّعم لتنمو، وهي عبارة عن استعداد في الإنسان[2]،وتمثلت مدرسة الشيخ في المحضرة[3] التي تلقى فيها الشيخ معارفه الأولى، إذ قصدها قصدها منذ بلوغه خمس سنوات، وكان من أبرز الطلبة فيها[4] ودخل حلقة إيرْوَانْ وبعد استظهار القرآن كاملا التحق بحلقة اعزابن-حلقة العزابة- فاستظهاره للقرآن كاملا يُنمّ على تميُّزه، بذاكرة[5] قوية ساعدته على اغتراف العلوم وحفظ القرآن الكريم، والأسرة هي السند والقدوة في ذلك بإرسال ابنها إلى مجالس الذكر وحرصه هو أن يكون في مجلس الذكر منذ الاستفتاح فلما دخل ابنه الى الحلقة الأمامية منه بحكم نبوغه وتفوقه ارتسمت علامات الرضى على ملامح وجهه بعد بلوغ ابنه مسارا بذل مستطاعه في سبيله وكان الوالد وقتها على مشارف الثمانين من العمر و لم يعمِّر بعدها طويلا[6] فكان بذلك نِعم المربى والقدوة المثلى لابنه الشيخ.

4- الحي: يعتبر البيئة التي تترعرع فيها الشَّخصية وتُأثِّرُ فيه ويُأثِّرُ فيها ويُرافقه هذا الأثر طيلة حياته ويُعبِّر عن حقيقة شخصية الانسان وسلوكه ويُساعدنا على فهم سلوك الشَّخصيّة وتصرفاتها المختلفة[7] فقد حَظي الشَّيْخ بحيٍّ تظلِّلُه القيم الحميدة والأخلاق النبيلة والرعاية الرؤوم من طرف الأسرة وأعيان القرية ورافق دربه أخلاّء الصّلاح والاستقامة ممَّا كان هذا عونًا له على صلاحه واستقامته من صباه.

---

[1]- ينظر، السابق ، 24- 25، 57.

[2]- - ينظر، معتز سيد عبد الله، و عبد اللطيف محمد خليفة، علم النَّفس الاجتماعي،10.

[3]- المحضرة: هي كُتَّاب لتحفيظ القرآن الكريم ولتعليم الإملاء والخط عند إباضية المغرب والمحاضر ملحقة بالمسجد وعادة ما تكون قريبة منها ويشرف عليها العزَّابة، ينظر، مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية، ج1، 278.

[4]- ينظر، الرواية، 47.

[5]- و«هي تسجيل الشخص لخبراته الحسيّة والعقلية الماضية...»، جواهر محمد الدّبوس، القاموس التربوي، مجلس النّشر العلميّ الكويت- الكويت، ط1، 2002.ص 568.

[6]- ينظر،الرواية، 92.

[7]- ينظر،عبد الله خمار، فن الكتابة تقنيات الوصف ، 169- 170.

5-الذكاء: يعتبر من مظاهر البناء الداخلي للشخصية وهو مظهر عقلي وراثي يؤدي الوظائف الفطرية المتمثلة في التَّخيُّل والتَّذكر والتّفكير وله أثر في نجاح الإنسان وعلاقاته الإنسانية المختلفة ومهنته[1] ويتمثَّل في القدرة على الفهم والبديهة وحل المشكلات وإيجاد الحلول للمواقف الطارئة، والمرونة في التَّكيّف[2] ويعكس قدرة الإنسان على الاستفادة من الخبرة والتَّعلُّم والتّفكير والسيطرة على مشكلات بيئته، والذكي يكون أكثر وضوحا في أفكاره يفهم الأمور ويستوعبها بشكل أسرع من غيره لذا تتَّسع الفرصة أمامه للنجاح والظفر، وهو من عوامل النّجاح الدّراسي[3]، فقد كانت البيئة أقوى سند للشَّيْخ لبلوغ معارج التَّفوق في حياته لأنّ«...الأطفال الذين يعيشون في بيئة مشجِّعة ومؤيِّدة لهم فرصة كبيرة للحصول على درجة مرتفعة من الذكاء...»[4]، فأمه وأباه شجَّعاه على ارتياد مجالس العلم والذِّكر وكان الوالد قدوته في السَّبْق إليها، فقد كان الشَّيْخ من أنْجب طلاب محضرته ومن المتفوقين في استظهار القرآن الكريم كاملاً، لما يتطلَّبُ ذلك من حفظ[5] و من حسن استدعاء للمعلومة[6]، ومن نجاحاته«...دخول حلقة إيروان بعد استظهار القرآن كاملا بحضرة بحضرة إمام المسجد ودخول حلقة إعزابن...»[7]، فاستظهاره للقرآن كاملا وتفوقه في دراسته يُنمّ على تميُّز الشّيْخ بذاكرة قوية وذكاء وقَّاد ويعْكِسُ قوة إرادة الشَّيْخ وتحدِّيه لبلوغ التَّفوق في حياته، فارتقاء الشَّيْخ لهذه الدَّرجات الرَّاقية في ظلّ قساوة الظروف الطبيعيّة والاجتماعية في ذلك العهد يعطينا صورة عن قوَّة شخصيته

---

[1]- ينظر، نفسه.

[2]- ينظر، إنصاف رمضان، مدخل إلى علم النفس، (د.ط)، (د.ت.ن)، (د.د.ن)، (د.ت.ن) ، ص:157.

[3]- ينظر، عبد الستار إبراهيم، الإنسان وعلم النَّفس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت- الكويت، 1985(د.ط)، ص 239، 250، 255.

[4]- معتز سيد عبد الله، و عبد اللطيف محمد خليفة، علم النَّفس الاجتماعي، 255.

[5]- الحفظ « القدرة على التعرف أو استدعاء المعلومة أو أداء مهارات ما تم تعليمه في وقت سابق بدون تدريب دوري ويتحدد مستوى الحفظ بمرور الوقت.»، جواهر محمد الدبوس، القاموس التربوي،853.

[6]- « استدعاء، استرجاع: قدرة الشخص على استدعاء معلومات هي جانب من الذاكرة وهي تعتبر أحد الطرق لقياسها.»، جواهر محمد الدبوس، القاموس التربوي798

[7]- الرواية، .

وطموحه، وسعة مثابرته ونشاطه الدّؤوب في كما أن حسن تصرُّفه مع جماعة من عشيرته التي قصدته ليلا لاخباره بمقتل العزابي الحاج صالح ، وهو زميل للشيخ ومن عشيرته وكان معهم باسعيد الذي تتطاير شرارة الانتقام من عينيه [1] فرغم صعوبة الموقف فقد احتوى الأمر وهدَّأ من روع الجماعة إذ أدخلهم داره وانصت لأقوالهم وأرشدهم إلى اليقين وحُسْن التَّثبت والتَّروِّي في اتخاذ القرار المناسب والابتعاد عن الشكوك التي توقد نار الفتنة وتؤدي إلى اتهام الأبرياء من الناس مادام القاتل مجهولا ولا شاهد ولا دليل على اتهام أحد وأرْشدهم إلى تجاهل موقف باسعيد نوفوس وعدم اعطائه الفرصة ليكون بطلاً بعنفه وعصبيته وانتقامه وخوّفهم من انقسام العشيرة[2] بقوله:«...إن لم تهونوا من شأنه وقعت رهائن في يده...»[3]، ونبّههم أنّ المجتمع الخصب«...يبحث عن تحرير أفراده بالسعي لتحقيق توازن الحريات باستمرار وسن القوانين...»[4] لأنّه إذا تعارضت الحريات اختلّ توازن المجتمع فيتشتّت ويندثر، وغيرها من مواقف الشيخ و التي تنمّ على ذكاء حاد وحكمة وقّادة حيال ما يعتري حياته الخاصة من جهة وما يصيب مجتمعه من جهة أخرى«لأنّ توتر تلك الأحداث قد دفع مجرياتها إلى اقتحام عتبة دار الشَّيْخ فإن هذا الأخير قد تعمل معها بالجدية اللازمة محاولا في ذات الوقت جعل اهتمامه على عدم الالتصاق بها...»[5] ولأنَّ الولوج في خضم الأحداث وطغيانها عليه تجعله بعيدا عن التفكير في تسويتها والوصول إلى حلول لانحرافها عن مسارها فهذا يُنمّ على ذكاء حاد وبصيرة متّقدة عبَّرت عنها مواقفه المختلفة والمتَّسمة بالاتزان والهدوء عبر مسار الرواية .

الثقافة تعتبر من مظاهر البناء الداخلي لشخصية الإنسان ثم إنّ لكل مجتمع بشري طراز معين من الثقافة خاص به، قد يتقاطع مع الثقافات الأخرى في بعض المجالات، وفي ظل عامل التأثير والتأثُّر بين الثقافات و«الثقافة بوجه عام هي قيم ومعتقدات وعادات وابتكارات شعب

---

[1]- ينظر، السابق، 92 .

[2]- ينظر، نفسه ، 105- 107،111- 112، 131، 134، وما بعدها.

[3]- نفسه، 201- 203.

[4]- نفسه، 203.

[5]- نفسه، 8.

يعتبرون أنفسهم مجموعة واحدة متماسكة(سواء كبيرة كانت أم صغيرة)...وبمعنى عام الفنون والعلوم التي توافق عليها الجماعة المسيطرة داخل المجتمع»[1] أما الثقافة لغة فمن« ثَقِف الشيء ثقْفا[...]: حَذَقَه[...]ورجل ثَقْف [...]ضابطا لما يحويه قائما به، ويقال ثقف الشيء وهو سرعة التّعلم...»[2]، و«...العمل وفيه: أوْغل في ممارسته حتى مَهَرَ فيه. فهو حاذق...»[3] « ثَقَفَ والثَّقْفُ مصدر الثّقَافة وفعلهُ ثَقِفَ[...]وقَلْبٌ ثَقْفٌ، أي: سريعُ التّعلُّم والتَّفَهُّم. »[4]، والثقافة هي هيكل ما يتّصل بسلوك جماعة ما، في مأكلها وملبسها، وتربيتها لأطفالها، ومختلف تقاليدها، في حالة الفرح أو الحزن، ومختلف آدابها، إلى جانب فكرها، وأعرافها[5] وعاداتها وقيمها ومعتقداتها، والثقافة ظاهرة اجتماعية متّصلة بالمجتمع البشري، وبمنطقة مخصوصة وزمن محدد وهي في دينامية متواصلة والثقافة تصوّر عن عصر النهضة التي شهدتها أوروبا في القرن السادس عشر حين ظهور أعمال أدبية راقية في الفكر والأدب والفن وتطلق الكلمة على ماأبدعه المفكرون من انتاج فكري في ضروب شتّى من الميادين في الفلسفة والعلم والقانون والفن...وبعذ القرن التاسع عشر عصر التّحليل الكيماوي...تعدّدت وجوه الثقافة واتّسع مفهومها ليُعبّر عن العلاقة المتبادلة بين الفرد والمجتمع والتّي تحدّد سلوك الفرد بالمجتمع وأسلوب حياته وقد تعدّدت تفسيرات الثقافة بتعدُّد المدارس واختلاف وجهات نظر أساتذتها فالفروق في التّفسيرات تنصبُّ أساسا في كنْه التّبادل بين الفرد والمجتمع ومدى اهتمام الانسان بأحد الجانبين أكثرمن الآخر، فبعض النّاس يُقدِّم الجانب النّفسي والبعض الآخر يقدِّم الجانب الاجتماعي وهذا ما يُصوِّره الفكر الاشتراكي، فمقاييس الثقافة تختلف با اختلاف الأنام ومناخهم ومناطقهم وموقعهم في هذا العالم الفسيح، فلكل ثقافة وجودها الخاص لأنّ الثقافة من تركيب وانتاج النّاس ينسُجها المنهج التّربوي الذي ينتج فلسفة وأخلاق فالفلسفة الاخلاقية هي أساس ثقافة كلّ مجتمع والدِّين من مكوناتها.

---

[1]- جواهر محمد الدبوس، القاموس التربوي، 100.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، ج5، 435- 436.

[3]- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، 163.

[4]- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، 204.

[5]- الأعراف هي: « العادات وأشكال السلوك (الأفكار والمعتقدات المدعّمة لها) التّي تكون مقبولة اجتماعيا داخل مجموعة أو ثقافة معيّنة.»جواهر محمد الدبوس، القاموس التّربوي، 598.

فالثقافة بعلاقتها مع الحضارة يطغى عليها جانب السُّلوك أكثر من الجانب المعرفي لأنّ السُّلوك يصوِّر لنا طابع الثقافة التّي تميِّز كل مجتمع عن آخر لأنَّ اختلاف السُّلوك صادر عن اختلاف الثقافات[1]، فالثقافة بصورة أدَق هي«مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية، التي تؤثِّ في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريًا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه»[2] وبذلك تكون الثقافة هي البيئة التي تعكس وتسفر عن حضارة معيّنة ومميّزة وتكون المحيط الذي يتحرّك في نطاقه الانسان، فالتّعريف السابق يشمل فلسفة الفرد والجماعة(المجتمع) ومقوماتهما ويُعبِّر عن ضرورة الانسجام بينهما، فالشّيخ في الرّواية عكس سلوك الفرد والجماعة في تلك القرية وجمع بين ماهية الفكرة والحركة والعمل، فهو كثير التّفكير والتّأمُّل في الحياة والكون وإلى جانب ذلك طويل الباع في الانتاج المثمر حيال مجتمعه فهو مثال في التأمّل والتّفكير وأمَّة في النّشاط والحركة الدّؤوبة التّي تُكلِّلُها العزيمة الصامدة، فالشّيخ مثقّف يعكس أسلوي الحياة الذي التحمت فيه مختلف طبقات المجتمع الرّاقية والبسيطة منها، كما يُعبّر عن السُّلوك الايجابي والنافع والثقافة الايجابية التّي تقود الفرد والجماعة إلى الفلاح والّعادة والازدهار في مختلف المجالات[3]، وتشمل الملابس و الزَّي الذي يعتبر مظهر من مظاهر مجموعة بشرية معينة، ويحمل معاني ودلالات، ترمز إلى وسط معين، وتعبّر عن مدلولات خاصة، وحتى في ألوانها، وأشكالها، فقد يدلّ اللباس على قدر صاحبه أو انحطاطه، أو غناه وفقره أو تواضعه، وينعكس اللباس على صاحبه استقامة أو انحرافا[4]، وملابس الشيخ تُنمّ كما سنرى لاحقا عن قرية الشيخ، كونه مصنوعة من الصوف وهو مادة أوّلية صناعة الملابس في القرية، إذ بها ملابس عامة الناس في ذلك العهد، كما تدلّ على اتجاه عقائدي، في زاوية الحائك الصوفي لكونه مظهر من مظاهر حلقة العزابة في ذلك العهد، وهي تحيل إلى بساطة وتواضع الشيخ وتساويه مع عامة الناس، كما أن ثقافة الشيخ ليست دينية كما توحي إليه مواقفه وأدواره وصور من واقعه، ولكنها متنوّعة بدليل اهتمامه وكذا طلبته

---

[1]- ينظر،مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق- سورية، ط4: 1984، ص، 24-26، 28، 43، 50، 52، 63، 74.

[2]- نفسه، 47.

[3]- ينظر، نفسه، 74، 138.

[4]- ينظر،نفلة حسن أحمد، التحليل السميائي للفن الروائي،100- 105.

بشتى العلوم والأدوار، من حفظ أسماء النجوم والتنقيب عن مواقعها ليلا، ونسخ متون الكتب، وحفظ القرآن وتحفيظه وكذا المعلقات وتعلّم علوم اللغة والنحو، وتبادل الخبرات في مجال الفلاحة والاعتناء بالنخيل، وتقنيات البناء وطرقه، إضافة إلى أدواره الاجتماعية المختلفة من تصديره لدور الإرشاد وتكوينه للطلبة، ومساهماته المختلفة في الجانب الاجتماعي لقريته فتشعُّب أدواره ومعارفه قد يؤكد أن ثقافته لم تكن دينية فحسب بل واسعة مقارنة بأفراد قريته من جهة، وبإلمامه بكل ما أتاحه له عصره المتمثل في عصر الكتاتيب، ذو المعرفة الموسوعية لمبادئ من معارف في عدة مجالات.

ومن البناء الداخلي للشخصية الجانب الانفعالي الوجداني وهو من المظهر النَّفسي لشخصية الإنسان، ويضمُّ سماته غير العقلية كالمزاج وخفة الروح والطباع وما يسفر عنها من عواطف ودوافع مختلفة[1].

7- المزاج: تعدّدت وجهات النّظر والآراء وتباينت حول تحديده وتصنيفه، فهو يضمُّ «الجوانب الوجدانية أو الانفعالية في شخصية شخص ما»[2]، والمزاج أقوى التحاما بالتكوين الجسمي وغدده، ويؤثر في أمزجة أصحابه، ويميزهم بالمرح والتَّفاؤل، أو الاكتئاب والعصبية[3]، وقد خضع المزاج إلى تقسيمات عدة، إذ اعتقد القدماء أنّه ينشأ من خلال تغلب أحد العناصر الأربع من إفرازات جسم الإنسان وقالوا بأربعة أمزجة لها، أما المحْدَثون من علماء النفس فيوافقون القدماء على كون الأمزجة تنتج جراء مؤثرات جُثمانية، والإفرازات تفرزها الغدد الصُّمُّ كالغدَّة الدَّرقية، والغُدَّة الكُلْوِيَّة، فهي المؤثرات الأساسية في تشكُّل المزاج[4] ورفض فريق آخر تصنيف الناس حسب المزاج والطِّباع لتفرُّد كل إنسان بمزاجه الخاص والمتميِّز عن غيره، ومهما تعدّدت الآراء فإنّ المزاج يظل صورة عن انفعال الإنسان وتأثير الوراثة فيه أكبر من البيئة والتربية، إذ يترع مزاج الإنسان إلى الكآبة أو الابتهاج ويكون ثابتا ومستقرا على ذلك ويخضع لتغيرات ظرفية فيكون معكَّرا أو صافيا جرّاء تأثيرات خارجية

---

[1]- ينظر، فن الكتابة تقنيات الوصف، اصدار خاص بالانترنت،

[2]- جواهر محمد الدبوس،القاموس التربوي، 1033.

[3]- ينظر،فن الكتابة تقنيات الوصف، إصدار خاص بالانترنت،

[4]-ينظر، مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، 866.

مختلفة[1]، فمزاج الشيخ يتميّز بالهدوء رغم ما اعتراه من ظروف وأحوال ومحن قاهرة، فكان يُقابلها بالهدوء والتَّريث والحكمة، فموقفه من قدوم السَّيل فهو لم يفزع كباقي رفاقه في الحلقة وعامة الناس، وكذا موقفه من مقتل زميله الحاج صالح رغم أن الخبر كان كالصاعقة، إلا أنه تمالك نفسه واتَّسم بالهدوء والتَّروِّي، وكذا موقفه من عناد باسعيد نوفوس وإصراره على الانتقام لمقتل الحاج صالح، إذ هدَّأ من أعصابه وكبح له زمام عناده، وبثَّ فيه السكينة والهدوء، وكذا موقفه من قرار حلقة العزابة بفصله عن الحلقة لفترة من الزَّمن لكونه اتَّخذ قرارا مخالفا للحلقة في ديَّة الحاج صالح، إذ قابل ذلك بالهدوء والرضى، لاقتناعه بصواب رأيه وأن اختلاف العلماء رحمة[2].

8- الانفعالات: تختلف انفعالات الإنسان حسب أمزجتهم فهناك من ينفعلون بسرعة فينتابهم الغضب أو الخوف أو الفرح...، وحسب المواقف التي تعترضهم فيقابلون المواقف بالجمود أو الحركة والاندفاع... فـــ«...الانفعال هو خاصية أساسية وطبيعية لكل فرد بشري ، فهو يسمح التجاوب مع كل المؤثرات الخارجية والداخلية...الانفعالية هو رد فعل أساسي يحدث أمام تغيرات ظرفية مفاجئة وآنية...يمكن تمييز أربعة أصناف رئيسية اللذة، الحزن، الغضب والخوف»[3] وتمتد الانفعالية وتبرز على المستوى النفسي والفزيولوجي والعصبي والعضلي وحتى الإيماءات، والصوت ونبرته وتغيرات الوجه[4]، وبذلك كان الانفعال أمر مهم لإدراك ماهية الشخصية وحقيقتها، ومن أصناف الانفعال الغضب وهو حالة انفعالية تصيب الفرد بصورة حادة أو مفاجئة وتأثر على سلوكه، وهي أحد الانفعالات أو المشاعر العدوانية، والمجتمع يثبط مختلف أشكال السلوك العدواني ويضع قيود تمنع تحوُّل مشاعر الغضب إلى سلوك عدواني، وتختلف أشكال التعبير عن الغضب، إما محايدا يتميز بالانسحاب، أو الإقدام على

[1] - ينظر: عبد الله خمار، فن الكتابة تقنيات الوصف، اصدار خاص بالأنترنت.

[2]- ينظر: الرواية، 107- 112، 131- 181 ، 189..

[3]- بيير داكو، تر: بوجابي محمد الشريف، الانتصارات المدهشة لعلم النفس، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة- الجزائر(د.ط)، 2007، ص70.

[4]- ينظر: عبد الله خمار، فن الكتابة تقنيات الوصف،30.

إيذاء الآخرين أو تفريغ تلك الشحنة في أعمال يقوم بها الإنسان[1] وقد عبَّرت مروحة اليد التي استعملها الشيخ لتبريد حرارة الجو عن مزاجه الهادئ حين تدريس الطّلبة، وبحركتها الوئيدة والمسترسلة حين استحسانه منهم المثابرة في تحصيل العلم والتّفوق، كما عبّرت بسرعتها في حركتها أو توقفها عن غضبه حيال الطالب المهمل والكسول، فكان بذلك غضبه سلوك عرضي وطارئ ولبرهة من الزمن، لردع المهمل من الطلبة ودفعه للاجتهاد في التحصيل[2]، من أصناف الانفعال أيضا الخوف يُسبق عاد بالدهشة والذهول، ويؤدي إلى استثارة حاستي السمع والبصر، وخفقان القلب ارتجاف عضلات الجسم...[3]، فقد صاحب انفعال الخوف الشيخ بصورة مؤقتة حين كان مهدَّدًا بالقتل من طرف باسعيد نوفوس، و لم يطغى عليه هذا الشعور بشهادة صديقه بحوص الذي كان يراقب حركاته وسكناته ويرافقه في رحلة سفره[4].

9- العواطف: تعتبر جانب من البعد الانفعالي الوجداني لشخصية الإنسان، وهي وثيقة الصلة بالانفعالات، «بل إن تكرار الانفعالات وتجمعها حول موضوع معين يكون عاطفة الحب أو الكره أو الغيرة...والعواطف هي صورة لعلاقة الإنسان بمن حوله لذا كانت عواطف الإنسان، وطريقته في التّعبير عنها...»[5]من أبرز الجوانب التي تُعبِّر عن طبيعة شخصيته ومستواها، وعن نبل عواطفه أو انحرافها، ومن أنبل العواطف وأرقاها عاطفة الحب وهو أمر فطري لدى بني البشر إنّه إحساس عذب في منأى عن العادة، وَجُود بالمشاعر الرقيقة، ويُعبِّر عنه الإنسان بمختلف الأشكال بالحنو والعطف والفرح والمصافحة...[6]، وقد اتّسم الشيخ بعاطفة الحب حيال أسرته وقريته، وحتّى بعد وقوع الفتنة التي أحدثت نوعا من الجفاء بينه وبعض زملائه في الحلقة، وتخلى عنه رئيس عشيرته فقد قابل الشيخ من جفاه منهم بالترحيب

---

[1]- ينظر: معتز سيد عبد الله و عبد اللطيف محمد خليفة، علم النّفس الاجتماعي، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، (د.ط)، (د.ت.ن)، ص:657- 658.

[2]- ينظر، الرواية، 100، 140.

[3]- ينظر، تشارلز داروين، تر، محمد عبد الستار الشيخلي، التعبير عن العواطف لدى الإنسان والحيوان، المنظمة العربية للترجمة، بيروت -لبنان، ط1: 2010، ص: 326- 327.

[4]- ينظر،الرواية، 7- 30، 200- 230.

[5]- عبد الستار إبراهيم، الإنسان وعلم النّفس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،(د.ط)، 1985،ص50.

[6]- ينظر، تشارلز داروين، تر، محمد عبد الستار الشيخلي، التعبير عن العواطف لدى الإنسان والحيوان، 238- 239، 240.

وحسن الاستقبال وكأن شيئا لم يحصل، كما قابل باسعيد الذي تعقب خطواته حتى الصحراء مريدا سفك دمه إذ ارتمى على رمال الصحراء بعد أن مات حصانه وأنهكت حرارة الشمس اللاذعة قواه فما استطاع حراكا، وكانت تتربَّصه الجوارح من الطيور، ولما رآه بحوص كذلك أَقْبَل عليه وساعده على إرواء ظمئه وكان الشيخ معه مساعدا، وهذا لحسن ظنِّه بباسعيد والأمل برجوعه إلى جادة الصواب، وبالمقابل دمعت عينا باسعيد حسرة على موقفه من الشيخ رغم أنه كان نبيلا حياله[1] فسمة الحب كانت بارزة فيه ومصاحبة له، ومستقرة في نفسه من بداية الرواية، إلى مسك ختامها، وليست صفة عابرة تتحول بتغيُّر الظروف والمصالح والأحوال، كالسمات التي كانت عارضة فيه، زمن تهديده بالقتل كالخوف والقلق[2] ولم يُسيطرا عليه بشكل كبير، إذ تلاشيا بعد زوال هذا الخطر.

ولأنّ الإنسان كائن اجتماعي يعيش ويقضي معظم وقته في جماعة من الجماعات، فهو يُؤثر حياة الجماعة على الحياة الفردية المنعزلة، لشعوره بعدم الاكتفاء الذاتي؛ نفسيا واجتماعيا واقتصاديا، حيث يتأثر الفرد بالمجتمع بطريق مباشر باحتكاكه مع الجماعات البشرية الأخرى كالأسرة والمدرسة...، كما يتأثر الفرد بطريق غير مباشر عن طريق العادات والتقاليد الأعراف السائدة في مجتمعه، الذي تكون علاقته به علاقة تفاعل قائمة على الأخذ والعطاء، والتأثير المتبادل وهي في جوهرها علاقة ايجابية، فالمجتمع يؤثر في الفرد ويطبعه بالطابع العام الذي يتلاءم مع هذا المجتمع، والفرد بدوره يؤثر في حياة المجتمع، بما يُضيفه إلى الحياة الاجتماعية من إنتاج وفكر وفلسفة واختراع ونُظم، وغير ذلك من الأعمال التي تغير شكل الحياة في ذلك المجتمع، كما بينت دراسات الباحثين أن التقاليد والعادات والقيم والمواقف الفكرية والدوافع والتَّفاعل الاجتماعي للفرد وحتى العواطف والخصائص الشخصية...كلها تتأثَّر بالمؤثرات الاجتماعية المختلفة، وتُصاغ على منوالها[3].

من خلال البناء الداخلي الشّيْخ تتجسّد لنا حقيقة شخصيته التي التحمت جملة من السِّمات لتشكِّلها وهذا ما تبرزه الصّورة الخارجية للشَّيْخ التي كانت انعكاسا لحالتها الداخلية

---

[1]- ينظر،الروية، 200، 369، 430.

[2]- ينظر،نفسه، 20، 400.

[3]- ينظر، أحمد عبد اللطيف وحيد، علم النَّفس الاجتماعي، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان- الأردن، ط1: 2001، ص: 11المقدمة.

إذ تناغم المستوى السطحي منها بالعميق فهي شخصية ذاقت مختلف ضروب الحياة واسْتقَتْ منها تجارب غنيّة فبدت شخصية متفتِّحة روحًا وفكرًا وذات بُعد عميق ومثُل سامية تصوِّر لنا شخصية المثقف التي تعقّب الرَّاوي الكاتب حياتها الشخصيَّة والعامة وتفاعله الايجابي مع مجتمعه، وما حال من عقبات في دربه.

المبحث الثالث: مستويات وصف الشخصية المثقفة والأدوار الفاعلية المتّصلة بها:

يمكن اعتبار الشخصية علامة وصفاتها نعوتا والأحداث التي تقع عليها أفعالا، تَتَحدّد بعلاقاتها بغيرها من الشخصيات الأخرى، وهذا بعد تقديم الشخصيات، باعتماد عنصري البطاقات الدلالية(الاسم الضمير،...) والوظائف المختلفة لها، وبقي أن نكشف عن الأدوار التي تحيل إليها، الملفوظات والأحداث والأفعال، باعتبارنا الشخصية عاملا، تقوم عليها لأنّ مصطلح العامل سوف يساعد على تحديد وحدة مبنية في مضمار السّرد، وباعتبارنا أن الشخصية علامة، أو مورفيما لا متواصلا، فإننا سنصفها بأنّها مركّبة، وتقيم علاقات مع وحدات من نفس المعنى أو أعلى أو أدنى مستوى منها إضافة إلى العلاقة التي تنسجها والخاصة بها، وبذلك تكون الشخصية متحركة، وبالنظر أيضا إلى الشخصية واعتبارها عاملا، ينبني عليها المستوى الأعمق من التّحليل لأن مصطلح العامل يساعد على تحديد وحدة مبنية غير معطاة من قبل السّرد [1] لذلك اعتمد فيليب هامون في سياق تحليله، لمستويات وصف الشخصية على الإرث المنهجي الذي خلّفه بروب وجريماس...محاولا إقامة نموذج منظم لكل مقطع أو لمجموع النّص السردي موزعا العوامل ومحددا أدوارها ويمكن من خلال ذلك تمثيل البنية العاملية الكبرى في النص السردي للرواية ومن أهم ما يصل بين الشخصيات،هما وحدتي الجهل والعلم وتعتبران خاصيتين وعلامتين متضادتين أسْهمتا في توجيه مسار الرواية من الطرفين : الناحية السياقية التي قامت عليها الرواية وتحديد محيط الأفعال والوظائف التي تقوم بها الشخصية المثقفة وما يتصل بها من شخصيات مختلفة ويمكننا تحديد هاتين الخاصيتين العلم والجهل بالاستناد إلى السمات التي تحصل عليها أو تفقدها الشخصية المثقفة وكذا ما يحيط بها من شخصيات بالنظر إلى الأدوار العاملية والتطورات المستمرة التي تطرأ على النص وتحول مساره من حين إلى آخر.

ولقد تضمنت رواية حديث الصمت زحم من الشخصيات أضفت عليها سمات خاصة، وتتصل هذه الشخصيات فيما بينها وتلتحم بمحور الشخصية المحورية المثقفة، والمتمثلة في الشيخ لكونها تشكل العمود الفقري للرواية.

[1]- ينظر،فيليب هامون، سميولوجية الشخصيات الروائية، تر سعيد بنكراد،40 - 41.

ومع تطور أحداث الرواية وتحولاتها تطرأ تغيرات على مستوى الوظائف والحالات التي تسند إلى الشخصية المحورية ـــ الشيخ ـــ والتي يعكس حالاتها وأحوالها ما اتصل بها من وصف وسرد.

فهناك صفة مميزة وجوهرية للشيخ وتتمثل في العلم والوعي، وما ينجر عنها من تحوُّل، وعلاقة ذلك بالشخصيات الأخرى، أما الصفات العرضية فإنه من الصعوبة بمكان حشدها كلها من جهة ومن جهة أخرى لكون أغلب شخصيات الرواية حامت حول الصفات الجوهرية منها و نتبين ذلك من خلال الجدول التالي:

المحـــــور / الشخصية	العلم	الجهل	العلم	الجهل
الشيخ	+		+	
الشيوخ في كامل الرواية	+		+	
رفاق الشيخ في الحلقة	+			+
الطلبة	+		+	
أهل القرية		+		+
باسعيد نوفوس		+		+
بعض رفاق الشيخ	+		+	
	قبل الفتنة ومقتل الحاج صالح		بعد الفتنة ومقتل الحاج صالح	

يتضح لنا من خلال الصفات الجوهرية التي عرضها الجدولين أن صفة العلم والجهل تعطينا مجموعتين متضادتين.

وتشكل الفئة الأولى شخصيات متجانسة من حيث اتصافها بالعلم رغم تمايز وظائفها(طالب علم، مصلح،...) ومدى مساهمتها في نسخ الملفوظات والأحداث المختلفة، إذ نلقى هنالك شخصيات تتلقى العلم فحسب لكونها في طور التكوين ويمثلها الطلبة، وأخرى تتصف بالعلم وتمنحه للآخرين من خلال فعاليتها وتمثلها الشخصية المحورية والشيوخ وزملاء الشيوخ في حلقة العزابة وتتلمذ عليها فئة من الطلبة فهي تمثل العلم في مجال وظيفتها التي أسندت إليها في الرواية وهي الأكثر هيمنة وفعالية، إذ تُساهم إلى جانب الشخصية المحورية في توعية وترقية المجتمع.

ويقابل هذه المجموعة المتجانسة من حيث العلم الفئة النقيضة وهي متجانسة أيضا باتسامها بالجهل وقلة الوعي رغم اختلاف وظائفها على مستوى الرواية، ومدى مساهمتها في حلبة الأحداث والملفوظات السردية المختلفة، إذ تتمثل في باسعيد نوفوس وجماعته الذي لا يسلك دربا لنيل العلم والمعرفة، وإلى جانبه نلقى فئة ساحقة تتصف بالجهل ويسعى بعض أفرادها للورود من معين العلم والوعي، وهي أهل القرية.

ولكن هذا الطابع الخاص للشخصيات لايستمر على منواله جراء بعض الظروف والتحولات الحاصلة في الرواية تمثلت في طلب فئة من الغرباء عن القرية وقد اندمجوا في أحدى عشائرها منذ أمد بعيد، بحجز سيلان السيل نحو الغابة لما يُحدثه من إتلاف بمزروعاتهم الفتيَّة، فقوبلوا من طرف العامة بالتَّهيين من شأنهم، فاتّسع ذلك إلى كافة الحاضرين في استقبال السيل، فاختلط جو الفرحة بتطاير عنان الفتنة واحتدام الجمع واندفاعهم بين مقبل ومدبر، وتطاير الرصاص من بنادق بعض الحاضرين الذين كانوا يشاركون فرحة قدوم السَّيل، ممّا أودى بحياة العزابي الحاج صالح، لمـــــَّا اندفع نحوهم ليصلِح ذات بينهم، فهوى جثَّة هامدة بينهم،فوقوع الفتنة ومقتل الحاج صالح، أطلق فئة من الشخصيات نحو تحولات أخرى مناقضة لسابقتها وأكسبها سمة الجهل وقلة الوعي لزمن قصير، بعد الفتنة وقد كانت للعلم أهلا قبل الفتنة، وهذا لتمسكها برأيها وجمودها عليه، وعدم قبولها لرأي الآخرين بعد الفتنة، وتمثلت هذه الفئة في زملاء الشيخ في الحلقة أما باقي الفئات الأخرى فقد ثبتت على صفاتها السابقة.

فمن خلال هذا المسار الذي يُظهرهُ لنا الجدول، وأبرز شخصية فيه الشيخ، أما باسعيد نوفوس وجماعته فقد كانت بشكل أقل لكونه شخصية لم تطفو على سطح النَّص السردي إلاَّ بعد الفتنة، ومنه يُمكننا تحديد قطبي الصراع بالتركيز على الشخصيَّة المحورية الشيخ لكونه ممثِّل عن شيوخ القرية من خلال شكل بنائي وظيفي للطرفين تمثِّله الثنائية التالية:

الشيخ ≠ (عكس) باسعيد نوفوس وجماعته كامل القصَّة ولاسيَّما بعد الفتنة أما رفاقه في الحلقة فبعد الفتنة.

فالشكل يركِّز على الشيخ بصفته شخصيَّة محورية، ويمثِّل الشيوخ الآخرين في صفاتهم وجُلِّ وظائفهم، أمّا باسعيد نوفوس وجماعته فقد ساهم في تشعُّب الفتنة واستمرارها، لفترة

من الزَّمن، وللتَّعمُّق في دراسة دلالات الشخصيات، وتميُّز بعضها عن بعض من خلال المحاور التي يُمَثِّلُها الشكل المربع السميائي الذي يقوم على«دراسة المحتوى من خلال التَّركيز على مستواه الشكلي عبر استقراء المستوى السّطحي بوصف وحداته وعلاقاته صرفًا ونحوًا وتركيبًا والانتقال بعد ذلك إلى تحليل المستوى العميق برصد السيمات والبنى الدلالية العميقة التي تولد كل التمظهرات الدلالية السطحية»[1] التالي القائم على المربع السميائي:

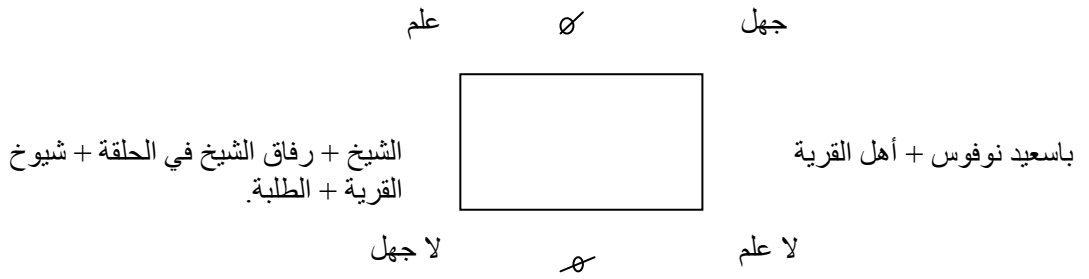

نجد قبل الفتنة خانتين أساسيتين تتمثلان، تتمثلان في الثنائية الشيخ والشيوخ ورفاق الشيخ في الحلقة والطلبة / باسعيد وأهل القرية، ومع تطوُّر أحداث الرواية حدث انفجار على مستوى الشخصيات، نتيجة بعض التَّحولات التي شهدها النص السردي، ومن ثَمَّ بروز ثلاث خانات متفاوتة يُمثِّلها المربع السميائي التالي:

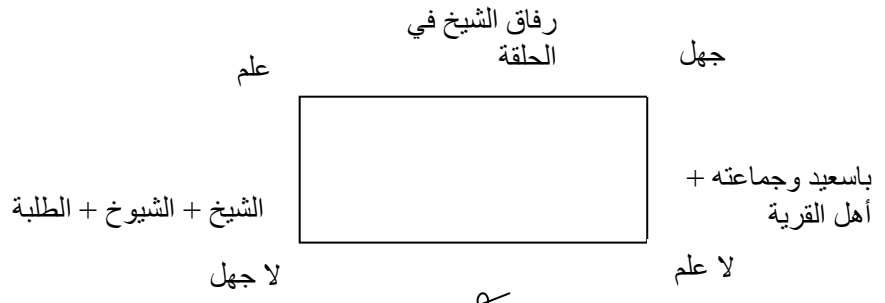

تمثِّل الفئة الأولى خانة علم جهل، هي فئة طرأ عليها تحوُّل فانتقلت من العلم والوعي إلى الجهل بشكل عرضي، لتمسُّكها برأيها، وجمودها عن إعادة النَّظر، وقبول رأي الآخر، وأصلها فئة واعية.

[1]- جوزيف كورتيس، مدخل إلى السميائية السردية والخطابية، تر: جمال حضري، منشورات الاختلاف الجزائر-الجزائر، ط1:1428ه/2007م، ص، 12.

وتمثّل الفئة الثانية علم لا جهل الفئة الواعية، التي تحرّك المجتمع، ولا سيما الشيخ لكونه يمثّل شخصية محورية على مستوى الرواية أمّا الفئة الثالثة في خانة جهل لا علم فتحوي باسعيد نوفوس وجماعته، إذ برز بعد الفتنة، وتوعَّد بالانتقام لمقتل الحاج صالح وأصرَّ على رأيه وتجاه ماسواه ومنهم الشيخ فهو لم يهب نفسه للعلم و لم يكلِّفها حتى عناء الانتهال من معين رواده، وهذا منذ صباه، بماداته للعلم وانسحابه من رحابه، فهو بذلك يمثِل فئة قارة لتماديه على ذلك الحال ويلتحم إلى جانبه أهل القرية، وهي فئة غير قارة إلاّ أنّه يطغى عليها الجهل، وتحتاج إلى دَفْق العلم المتواصل من طرف الفئة الثانية لتتحوَّل إلى فئة واعية يوجِّهها العلم إلى جادة الصواب، وتظهر الفئة الأخيرة فارغة لم تطفو أي فئة إلى سطحها.

ثم إن موقع الشّيخ المحوري جعله يتقاطع مع شخصيات الرواية المختلفة، وتتعدَّد وجهات الاتصال به، وبدوره يُسهم في تفعيل الأخذ والعطاء، والفصل والوصل.

ومن أهم الأدوار التي تمثّل البنية الفاعلية العامة للرواية علاقة الشيخ بمجتمعه، إذ كانت للشَّيخ رغبة ثابتة في توعية مجتمعه، والأخذ بيده إلى عالم الوعي والمعرفة، وقد اتّفق معه في هذه الرّغبة عصبة من أصدقائه، وثلة من طلبته وكان ممثّلا عنها، فثقل هذه المسؤولية أراق مضجع الشيخ وأطلقته في عالم التأمل في الكون وروعته، طلبا للراحة؛ وتخفيفا عن حِمْلها، ومنه فمحور السَّعي أو موضوع الرَّغبة الذي ينتاب الشَّيخ وتصوِّره المقطوعة المفتاح؛ هو العلم والوعي، إذ يتحرَّك الشَّيخ باعتباره عامل جماعي لكونه يُمثّل كل من أضيف اسم الجنس العام إلى اسمه؛ ويُضاف إليهم الطلبة، فرغم كثرتهم إلاّ أنّهم يمثّلون عاملا واحدا فحسب، لكن لا يُمكن التَّمييز بينهم من وجهة النَّظر الوظيفية لتكاملهم وظيفة، إذ اتفقوا كليَّة على توعية المجتمع وهذا يؤدي إلى تحقيق وتنفيذ النَّمط والنَّوع الدّلالي الرّئيسي للرواية، أما باقي أنواع الدلالة الأخرى يجمعها لفظ عناصر الكفاءة التّي تضمُّ؛ وجوب الفعل؛ رغبةالفعل؛ ومعرفة الفعل؛ واستطاعة الفعل، وهي كلها تكتسب قبليّا قبل الإقبال على الدَّور المنوط، وهي من الصفات الجوهرية التي تميِّز العامل الجماعي الشيخ لكونه يمثِّل فئة الشُّيوخ لكونها فئة تسعى نحو أداء عمل واحد وبلوغ هدف وحيد، وتتجسَّد بنيتها التَّواصلية في الشَّكل التّالي:

المرسل ← الموضوع ← المرسل إليه

(الشّيخ) (التوعية والتعليم) (أهل القرية)

ويظهرها النّموذج العاملي الآتي:

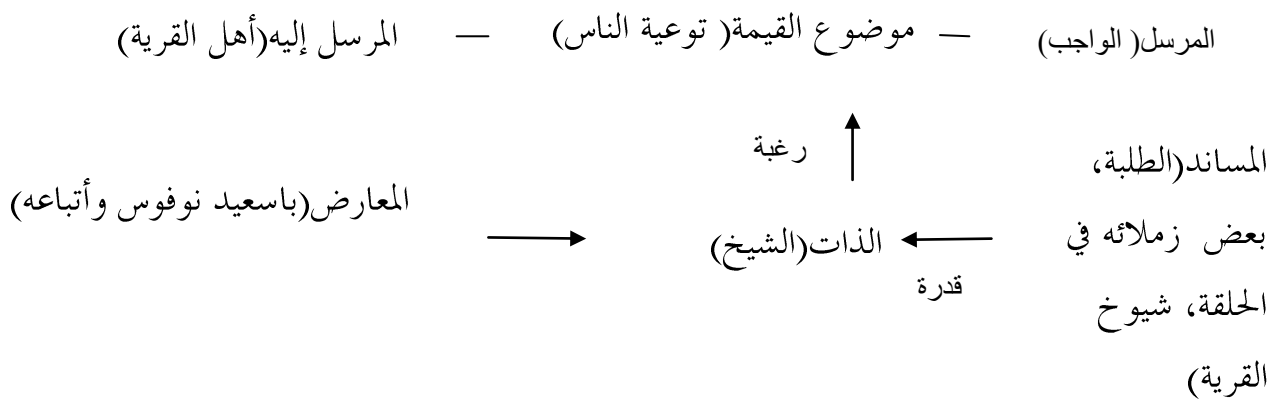

– يصعُب تحديد خانة الإرسال لأنَّه قد تتضمَّنه صفات كعامل مجرَّد قد تكون مقام الشَّيخ لأنَّها ساهمت في دفْعِه إلى القيام بموضوع القيمة(توعية المجتمع) فهذا يُحيلُنا باعتبار الواجب بمثابة عامل مسْتقل عن الشَّيخ رغم أن صفة الواجب تندرج في الجانب التَّضميني أصْلا إذ هي محتواة في المرسل وجزء منه، فالصفة تؤدي وظيفة نحوية مستقلة على مستوى هذه الجملة، فالشيخ مدفوعا من طرف الواجب إذ حمَّله على القيام بفعل التَّوعية؛ وهو موضوع القيمة، وإلى جانب ذلك يدفع النَّاس إلى الاتصال بموضوع التَّوعية الذي يبثُّه–الشيخ – من خلال ذلك يكون توزيع المجموع العاملي[1] على الشَّكل التالي:

1) توكيل المرسل(الواجب) يطلب ويدفع المرسل إليه(الشيخ) ويذكِّي فيه رغبة للقيام بالفعل وتحقيق موضوع القيمة(توعية الناس).

2) قبول أو رفض من طرف المرسل إليه ونجد هنا قبول المرسل إليه(الشيخ) لهذا الأمر بدليل حمْلِه لهمِّ التعليم والتوعية لمختلف شرائح مجتمعه.

[1]- ينظر، فليب هامون، سميولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، 44- 45.

3) تمرير الرَّغبة في القيّام بموضوع القيمة(توعية الناس) وهذا التَّمرير والتَّحويل للرَّغبة؛ تحوِّل المرسل إلى ذات محتملة وقد تحقَّق هذا التَّمرير من خلال برنامج التوعية للمجتمع بمختلف أشكالها.

4) يَتْبع التَّوكيل والتَّمرير للفعل إنجازا لهذا البرنامج مما يجعل الذات مباشرة تتحوَّل من ذات محتملة إلى ذات محقَّقة وهذا ماتحقَّق لأنَّ التمرير حدث فعلا لكون الشَّيخ قام بالبرنامج السَّردي وحقَّقه بعد أن تلقى الأمر والتوكيل(الواجب) وقابله بالقبول، بفعل تحقُّق تمرير الرَّغبة للقيام به من خلال دوره المهني كمعلِّم لكون الشَّيخ مالك لتخصُّص في الأفعال المهنيَّة.

كما يظهر لنا المساند الذي يتمثَّلُ في (الطَّلبة وزملاء الشيخ في الحلقة والشيوخ على مستوى القرية) إذ كانوا رُبَّ عونٍ للشيخ للقيام بموضوع القيمة من خلال دعمهم له ومساندته، ومن خلال قيامهم بنفس موضوع القيمة كلٌّ في محيطه الخاص، أمّا المعارض فقد تمثَّل في شخصية باسعيد نوفوس الذي أعاق مسار الشيخ واسْتخفَّ به؛ وسفَّه آرائه لاسيما بعد حادثة السد وقدوم السيل بعد جفاف ويل ،أين وقعت الفتنة، حتّى أنَّه وصل إلى حدِّ التَّربّص به هو وأنصاره للقضاء عليه، إلاّ أنَّ تأثيره كان ضعيفا بدليل قيام الشَّيخ بموضوع القيمة وبكفاءة رغم إعاقته المتكررة له.

ونخلص في النهاية إلى تحديد الثنائيات الرئيسة المولّدة للنّص والجامعة للثنائيات الدلالية التي يقوم عليها البناء السردي للرواية، وتقاطعت عليه جُلُّ أحداثها وقد تمثلت حياة الشيخ بنية كبرى في الرواية ويظهر هذا من خلال الأدوار العاملية التي تلخِّص النّصوص السّردية إلى مخطَّطات مجسّمة للمعنى الذي يُشكل البرنامج السّردي الذي يبرز علاقة الشخصية المحورية الشّيْخ بالشّخصيات الأخرى وما يضمّ ذلك من ذات منْجزة وتتمثّل في الشيخ وموضوع تريد الوصول إليه وتحقيقه وما يصاحب الذات المنجزة من مساند ومعارض يمثلان العلاقة بين الفاعل والموضوع وتتمثل مهمة المساعد في تقديم المساعدة والعون للفاعل لتحقيق مشروعه وموضوع القيمة، وأما المعارض فيكون حائلا دون تحقيق الفاعل لموضوع القيمة إذ يعيق دربه وهدفه[1] يختلف كل من المساند والمعارض باختلاف البنيات الفاعلية المصاحبة له ويظهر ذلك من خلال البنيات العاملية التالية:

[1]- ينظر، محمد الناصر العجيمي، فن الخطاب السردي نظرية قريماس، الدار العربية للكتاب- تونس، (د.ط)، 1991، ص: 40، 46.

1-البنيات الفاعلية للشيخ ونفسه

فالمؤتى- المرسل-(التَّريُّث في طلب العلم والسؤال عنه للوصول إلى الإتقان في اكتساب) وهو قيمة مجرَّدة كامنة في ذات الفاعل، وهو من رأي أتباع قريماس[1] لأنَّه في نظره لا يحصل تطابق تام بين المؤتى والمؤتى إليها- المرسل إليه- وهو الشيخ (مرسل إليه/ فاعل) والفاعل عند قريماس ضرورة أن يكون«كائنا إنسانيا كما لا يتحتَّم أن يكون الموضوع شيئا جامدا» فقد يكون قيمة مجرَّدة معنويَّة كالشعور بالواجب أو عدم الإجابة على سؤال شيخه كما هنا[2] لكون التَّريُّث(المؤتى) جعله يقوم بالموضوع (عدم الإجابة على سؤال شَّيْخه) وبذلك يستوي الشَّيخ فاعلا بحكم أنَّه شرع في القيَّام بما أملاه عليه (المؤتى) فالشيخ فاعل حالي عند قريماس لكونه موصول بالموضوع ذي القيمة الايجابية وهو برنامجه السردي المتمثل في الموضوع (عدم الإجابة على سؤال شَّيْخه)، ويتمثَّل المساعد في(الصمت)، وهي قيمة مجرَّدة محتواة في المؤتى إليه (الشيخ)، «...وتتحدَّد وظيفة المساعد في تقديم المساعدة والعون للفاعل«بغية تحقيق مشروعه العملي» والحصول على«الطَّلِبة» وهو موضوع الرَّغبة»...وهو موضوع سلبي غير متحرَّك ويطلق علي قريماس مصطلح«ملفوظ حالي»...»[3]، والمشروع العملي للشيخ (الفاعل) هو عدم الإجابة على سؤال شيخه، وتعدُّ العلاقة بين الفاعل وموضوعه«بؤرة النموذج العاملي»، وعند قريماس تكون مشحونة ومُفعَّمة بـــ« الشُّحنة الدَّلالية الكامنة في الرَّغبة»[4]أي طاقة يحملها الفاعل، وتُحرِّكه للقيام بمشروعه العملي (عدم الإجابة على سؤال شيْخه) وهذا كان بشكل عرضي وظرفي حين طُرح سؤال من قِبل شيخه يتطلَّب عمق الرؤية وبُعد النَّظر، ولايحتمل جوابا سريعا وهذا فيما يتعلَّق بموقف الشيخ عبد العزيز، وعلَّة صمته، أمام سؤال ذكي من طرف شاب من العصبة التي استنجدت بالشيخ عبد العزيز لمكانته وعلمه الغزير ليُصلح بين ذات البين في قريتهم وقد امْتدَّ ذلك لأمد طويل وخلَّف جفاءا وفتنة خانقة، وبالتالي يكون ماساعد الشيخ(الفاعل) على عدم المشاركة هو اتسامه بالصمت استجابة للتَّريُّث وطلب فسحة لتقليب النَّظر قبل الإدلاء بجوابه، إلاَّ أنَّ

[1]- ينظر، السابق، 44.
[2]- ينظر، نفسه، 41.
[3]- ينظر، نفسه،40.
[4]- ينظر، نفسه.

المعارض، وهو هنا قيمة مجرَّدة تتمثَّل في التَّسرُّع حاولت دفعه للمشاركة برأيه والجواب على سؤال شيخه، وهي قيمة سلبية تَحول بين الفاعل وحفاظه على اتِّزانِه وتوازُنه الذي يُكلِّل خطواته بالثبات.

والمساعد والمعارض يمثِّلان وحدتين تتَّصلان بالعلاقة التي تربط بين الفاعل وموضوعه، وتتمثَّل العلاقة بين (الفاعل/ الموضوع) في إحدى الاحتمالين التاليين، إما تقوم على الانفصال، أي انفصال الفاعل عن موضوعه، وعدم تحقيقه لموضوعه وبرنامجه العملي، أو الاتصال بموضوعه وتنفيذ انجازه، ويرمز للاتصال بالعلامة ^ ولانفصال الفاعل عن موضوعه بالعلامة v، ونجد أن الشيخ (المؤتى/ الفاعل) قد نفَّذ موضوعه وبالتالي فقد تحقق الشيخ ^ توعية المجتمع.

وتتمثل البنيات الفاعلية في هذا الملفوظ السردي في المقطع التالي:

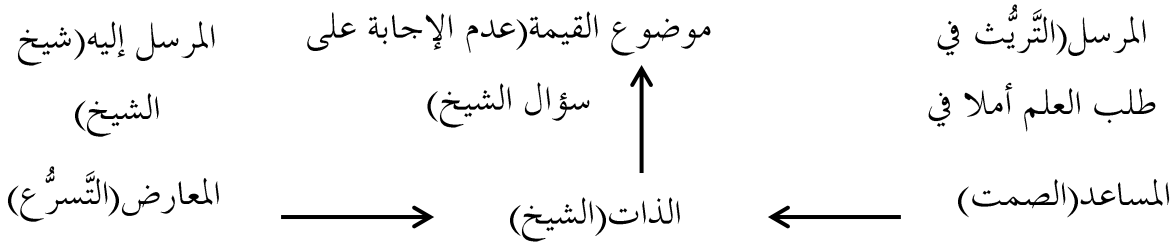

نجد في المستوى العميق لهذا الملفوظ الذي يمكن بيانه من خلال المقولتين التريث عكس التسرع والصمت عكس الحديث فنجد شبكة العلاقات التي تنسجها عن طريق المربع السيميائي التالي فهناك علاقتا تناقض أشرنا إليهما من خلال خطين ممتدين ينتهيان بسهمين يصوران الاتجاه الذي تاخده العلاقة. وهناك علاقتا استلزام أشرنا إليهما بخطين ينتهيان بسهم واحد يبين اتجاه العلاقة من خلال هده الشبكة من العلاقات التي تنتج التركيب الدلالي إن استجابة الشيخ للتريث في قيامه بموضوع القيمة جعله يحول دون التسرع وهذا ما منحه الإتقان في طلب العلم والتقصي عنه،وهذا ما يبرزه المربع السيميائي التالي:

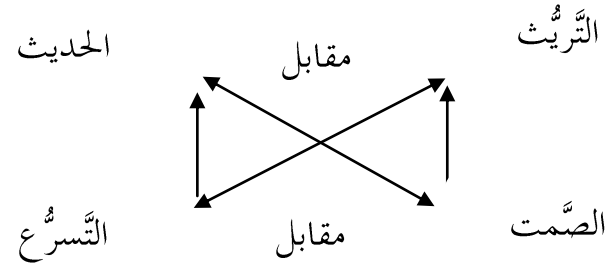

2-البنيات الفاعلية للشيخ ومجتمعه:

فالمؤتى- المرسل - (الواجب) وهي قيمة مجرَّدة محتواة في ذات الفاعل(الشيخ) فالشَّيخ ذات فاعلة ترغب في تحقيق مشروعها والاتصال بالموضوع المرغوب وهو موضوع القيمة (توعية المجتمع) وقد قام بذلك بمختلف الوسائل من توجيه وإرشاد...لتحقيق موضوعه ذو القيمة المجرَّدة والمعنوية، وتتمثَّل في توعية المجتمع وإنقاذه من غيابات الجهل والضلال، فالشَّيخ يعدُّ ذاتا فاعلة بحكم أنَّه قام بموضوع القيمة ، استجابة للواجب، و المشروع العملي للشيخ هنا هو توعية المجتمع وهو قيمة ساكنة غير متحرَّكة من تلقاء نفسها تحتاج إلى محرِّك خارجي، وهي المشروع الذي قام الشَّيخ بتفعيله و تحريكه، من خلال أدواره المختلفة من تعليم و توجيه حيال المرسل إليه(أهل القرية)، وقد كانت العلاقة بين الشيخ وموضوعه(الفاعل/الموضوع) مفعَّمة بشحنة و طاقة برزت من خلال رغبته في تنفيذ مشروع التـــوَّعية وتمثَّل المساعد في طلبته وزملائه وشيوخ القرية، إمَّا بقيامهم بنفس الدَّور كلّ في مجاله و محيطه، أو مساعدته من خلال الاغتراف من معين علمه وهذا من خلال إقبال الطلبة نحوه واستئناسهم بمجالسته، أما المعارض فقد تمثَّل في باسعيد و أمثاله ممَّن لا يولون للعلم وذويه مكانة وقدرا وكل همِّهم الحيلولة دون مسعاهم ومشروعهم العملي الذي يكتنفه، وتمثله البنية الفاعلية التالية:

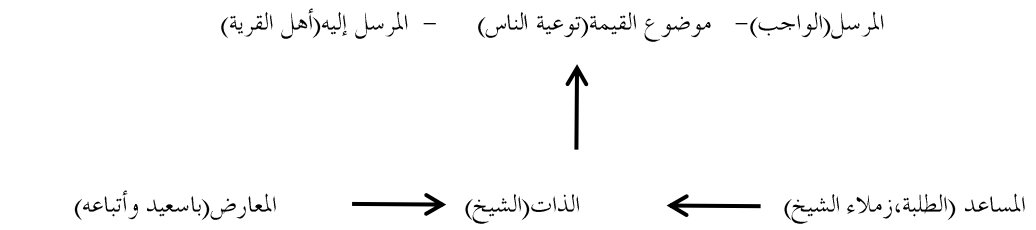

ونجد في المستوى العميق لهذا الملفوظ الذي يمكن بيانه من خلال المقولتين الواجب عكس الإهمال والوعي عكس الجهل فنجد شبكة العلاقات التي تنسجانها عن طريق المربع السيميائي التالي فهناك علاقتا تناقض أشرنا إليهما من خلال خطين ممتدين ينتهيان بسهمين يصوران الاتجاه الذي تاخده العلاقة. وهناك علاقتا استلزام أشرنا إليهما بخطين ينتهيان بسهم واحد يبين اتجاه العلاقة من خلال هده الشبكة من العلاقات التي تنتج التركيب الدلالي، فإن استجابة الشيخ للواجب في قيامه بموضوع القيمة توعية المجتمع فالواجب قد حثَّه للقيام بمشروعه، ومدّه

المساعد بعون ومساندة، للقيام بمشروع التوعية، ودرء الجهل عن أهل القرية، وهذا مايمثله المربع السميائي التالي:

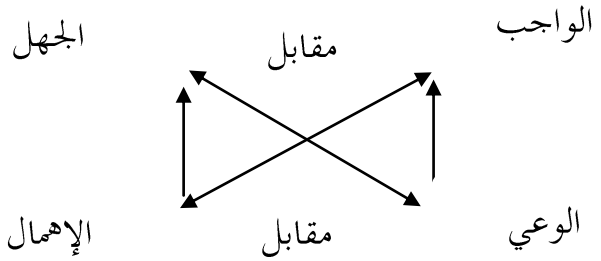

3-البنيات الفاعلية للشيخ والشيوخ في مجتمعه

فالمؤتى- المرسل - (الواجب) وهي قيمة مجرَّدة محتواة في ذات الفاعل(الشيخ+الشيوخ) وهي ذات فاعلة ترغب في تحقيق مشروعها وهو موضوع القيمة (توعية المجتمع) وقد قامت بذلك بمختلف الوسائل من توجيه وإرشاد...لتحقيق موضوعها ذو القيمة المجرَّدة والمعنوية، وتتمثَّل في توعية المجتمع وإنقاذه من غيابات الجهل والضلال ، فاستجابة الذات الفاعلة للواجب، و المشروع العملي لها هنا هو توعية المجتمع وهو قيمة ساكنة غير متحرَّكة من تلقاء نفسها تحتاج إلى محرِّك خارجي، وهي المشروع الذي قامت الذات بتفعيله و تحريكه، من خلال أدوارها المختلفة من تعليم... حيال المرسل إليه(أهل القرية)، وقد كانت العلاقة بين الذات وموضوعها (الفاعل/الموضوع)مفعَّمة بطاقة برزت من خلال رغبتها في تنفيذ مشروع التـــوَّعية وتمثَّل المساعد في إقبال الناس وحبهم للعلم فقد قام شيوخ القرية بنفس الدَّور كلّ في مجاله و محيطه، أما المعارض فقد تمثَّل في الجهل الذي يمثله أغلب المجتمع إلا أن حب الناس للعلم حال دو ن عر قلته لمشر و ع الشيخ و شيو خ القر ية، و هذا ماتمثله البنية الفاعلية التالية:

المرسل(الواجب) - موضوع القيمة(توعية المجتمع) - المرسل إليه(أهل القرية)

نجد في المستوى العميق لهذا الملفوظ الذي يمكن بيانه من خلال المقولتين الواجب عكس إهمال والعلم عكس الجهل فنجد شبكة العلاقات التي تنسجها عن طريق المربع السيميائي

التالي فهناك علاقتا تناقض أشرنا إليهما من خلال خطين ممتدين ينتهيان بسهمين يصوران الاتجاه الذي تاخذه العلاقة، وهناك علاقتا استلزام أشرنا إليهما بخطين ينتهيان بسهم واحد يبين اتجاه العلاقة من خلال هذه الشبكة من العلاقات التي تنتج التركيب الدلالي، فإن استجابة الشيخ+الشيوخ للواجب في قيامهم بموضوع القيمة توعية المجتمع، فإن حب الناس للعلم كان مساعدا للقيام بمشروع القيمة، فقد حال دون الإهمال الذي يسهم في انتشار الجهل، ومما ساعد على تحقيق هذا المشروع السردي هو حب الناس للعلم وإقبالهم عليه، وهذا مايمثله المربع السميائي التالي:

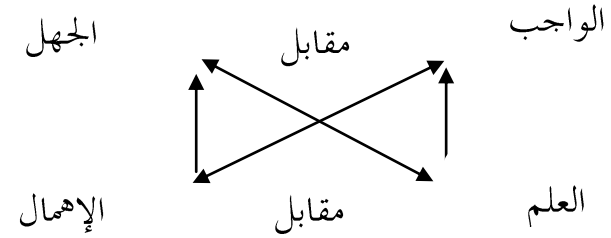

4-البنيات الفاعلية للشيخ ورفاقه في الحلقة

إن علاقة الشيخ بمجتمعه تتمثل في قيامه بمشروعه الأساسي نحوها، وتظهر من خلال البنيات الفاعلية التالية:

فالمؤتى- المرسل - (الحكمة) وهي قيمة مجرَّدة محتواة في ذات الفاعل(الشيخ) فالشَّيخ ذات فاعلة ترغب في تحقيق مشروعها وهو موضوع القيمة (اتخاذ القرار الصائب في مقتل ودية الحاج صالح)وقد كانت العلاقة بين الشيخ وموضوعه (الفاعل/الموضوع)مفعَّمة بشحنة و طاقة برزت من خلال رغبته في تنفيذ مشروعه وتمثَّل المساعد في الواجب وهي قيمة معنوية مجردة وتمثل المعارض في الجمود على الرأي و التعد

المرسل(الحكمة) - موضوع القيمة(اتخاذ القرار الصائب في مقتل ودية الحاج صالح) - المرسل إليه(رفاق الشيخ في الحلقة)

المساعد(الواجب) ← الذات(الشيخ) → المعارض(الجمود على الرأي والتَّعصب)

نجد في المستوى العميق لهذا الملفوظ الذي يمكن بيانه من خلال المقولتين الحكمة عكس الجهل والمرونة عكس الجمود فنجد شبكة العلاقات التي تنسجانها عن طريق المربع السيميائي التالي فهناك علاقتا تناقض أشرنا إليهما من خلال خطين ممتدين ينتهيان بسهمين يصوران الاتجاه الذي تأخده العلاقة. وهناك علاقتا استلزام أشرنا إليهما بخطين ينتهيان بسهم واحد يبين اتجاه العلاقة من خلال هده الشبكة من العلاقات التي تنتج التركيب الدلالي، فإن استجابة الشيخ للحكمة في قيامه بموضوع القيمة اتخاذ القرار الصائب في مقتل ودية الحاج صالح، احدث له نوعا من الجفاء بينه وزملائه في الحلقة مما جعله لم يتمكن من تنفيذ مشروعه، إذ فصلته الحلقة لفترة من الزمن حتى تردّه عن رأيه الذي أصر عليه حتى نهاية الرواية، وهذا مايمثّله المربع السميائي التالي: التّالي:

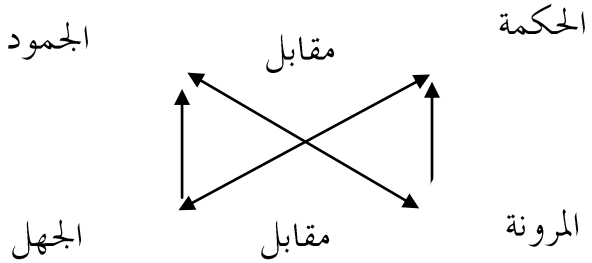

5-البنيات الفاعلية للشيخ وطلبته

يمثل المرسل (الواجب) الذي يعد قيمة مجردة في الذات الفاعلة (الشيخ) إذ تقوم بوظيفة اتصال بموضوع القيمة (توعية و إعداد الطلبة خلائف للسلف) و بذلك يحصل الاتصال بين الذات الفاعل (الشيخ) و موضوع القيمة (توعية إعداد الطلبة)فالذات = الفاعل ترغب في موضوع القيمة و ترسله إلى المرسل إليه (الطلبة)، ويساعدها في القيام بموضوعها أهل القرية، بإرسال الطلبة إلى التّعلُّم عنده، وحتى الكبار يقصدون دروسه للتّفقُّه في العلم.

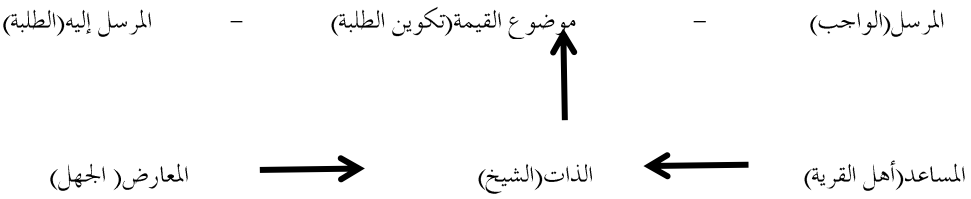

فنجد شبكة العلاقات التي تنسجاها عن طريق المربع السيميائي التالي فهناك علاقتا تناقض أشرنا إليهما من خلال خطين ممتدين ينتهيان بسهمين يصوران الاتجاه الذي تأخده العلاقة. وهناك علاقتا استلزام أشرنا إليهما بخطين ينتهيان بسهم واحد يبين إتجاه العلاقة من خلال هذه الشبكة من العلاقات التي تنتج التركيب الدلالي، فإن استجابة الشيخ للواجب في قيامه بموضوع القيمة تكوين الطلبة، جعلته يتمكن من تنفيذ مشروعه، وساعده أهل القرية، ولعدم وجود معارض يُعيق دربه، وبالتالي تحقّق انتشار العلم والوعي.

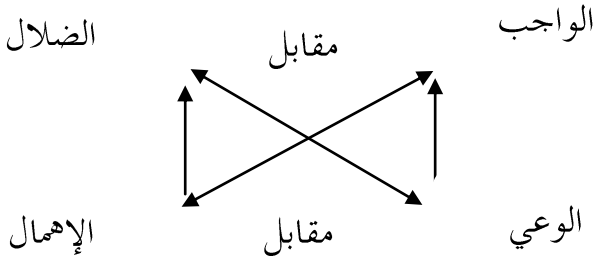

يمثل المرسل (الواجب) الذي يعد قيمة مجردة محاولة في الذات الفاعلة (الشيخ) إذ تقوم بوظيفة اتصال بموضوع القيمة (توعية و إعداد الطلبة خلائف للسلف) و بذلك يحصل الاتصال بين الذات الفاعل (الشيخ) و موضوع القيمة (توعية إعداد الطلبة)

فالذات = الفاعل ترغب في موضوع القيمة و ترسله إلى المرسل إليه (الطلبة).

6-البنيات الفاعلية لإرادة باسعيد قتل الشيخ

فالمؤتى- المرسل - (الغيرة)[1]، هي قيمة مجرَّدة محتواة في ذات الفاعل(باسعيد نوفوس) فهو ذات فاعلة ترغب في تحقيق مشروعها، وهو موضوع القيمة (تدبير قتل الشيخ لابطال تأثيره على القرية)، فالشيخ يمثل لباسعيد أكبر معيق في دربه، إذ كان متفوّقا في الدراسة، ومقرّبا من طرف شيخ المحضرة، أمّا هو فمهمل ينال شر العقاب

[1]- «الغيرة شعور بالغضب يتولد عند الفرد إزاء شعوره بالعجز عن أن يكون أفضل المحبوبين من حوله...وترتبط الغيرة في بعض الأحيان بظاهرة نفسية أخرى هي الحقد، ويعرَّف الحقد بأنه شعور بالغضب يبرز من شعور الفرد بالعجز أن يؤدي مهامه المختلفة بشكل أفضل من الأفراد الآخرين...والغيرة والحقد من بواعث السلوك العدواني وأسبابه الواضحة»، معتز سيد عبد الله و عبد اللطيف محمد خليفة، علم النّفس الاجتماعي، 660.

أمامه، كما أنّ الشيخ مورد حكمة ووعي القرية، ولاسيما رأيه في مقتل ودية الحاج صالح، كما أنَّه يحظى بالاحتفاء العظيم الذي حُرِم هو منه، ومازاد الأمر تعقيدا أنّه تزوج المرأة التي أراد خِطبتها ورُفِض هو من طرف أهلها[1]،وفق كانت العلاقة بين باسعيد وموضوعه (الفاعل/الموضوع)مفعَّمة بشحنة و طاقة برزت من خلال رغبته في تنفيذ مشروعه، وذلك بتعيين جماعة من أتباعه لترقُّب خروج الشيخ من داره، والقضاء عليه، وتمثَّل المساعد في (الأعوان، البأس، القوة العضلية)، أمّا المعارض فقد تمثَّل في (رفاق الشيخ و الطلبة و صديقه بحوص)، وهذا ما تمثله البنية الفاعلية:

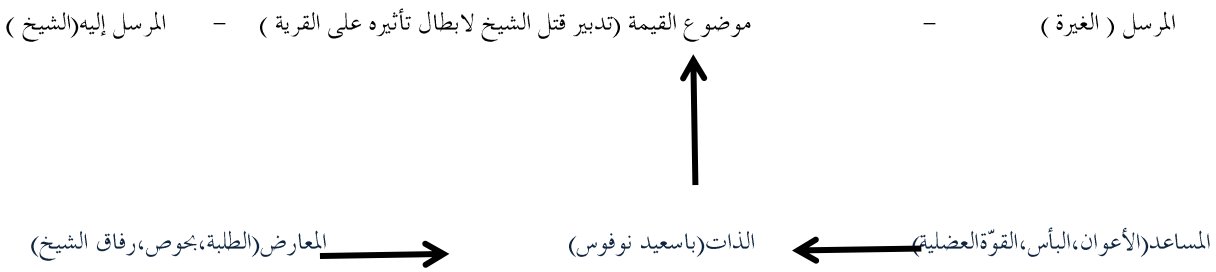

فنجد شبكة العلاقات التي تنسجها عن طريق المربع السيميائي التالي، فهناك علاقتا تناقض أشرنا إليهما من خلال خطين ممتدين ينتهيان بسهمين يصوران الاتجاه الذي تأخذه العلاقة. وهناك علاقتا استلزام أشرنا إليهما بخطين ينتهيان بسهم واحد يبين اتجاه العلاقة، ومن خلال هذه الشبكة من العلاقات التي تنتج التركيب الدلالي الذي يمثله المربع السيميائي، فإنه رغم استجابة باسعيد للمرسل في قيامه بموضوع القيمة، لم يتمكَّن من تنفيذ مشروعه، رغوم المساعد، وهذا لوجود معارض أعاق دربه، وأبطل مشروعه السّردي.

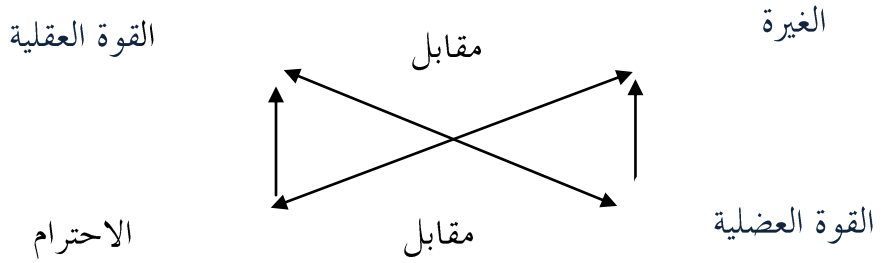

[1] ينظر، الرواية، 70، 100.

7- البنيات الفاعلية لترحيل الشيخ إلى قرية العطف

فالمؤتى- المرسل - (إخماد الفتنة) وهي قيمة مجرَّدة، وتمثّلت الذات الفاعلة في (بعض رفاق الشيخ، الطلبة، صديقه بحوص)، فالذات الفاعلة ترغب في تحقيق مشروعها وهو موضوع القيمة (ترحيل الشيخ إلى مدينة العطف حماية له) بعد أن بذل كل المجهودات لتهدأة نار الفتنة ومحاولة احتواء الوضع المتأزِّم جرّاء مقتل الحاج صالح إلاَّ أنّها باءَت بالفشل وعجزت عن تغيير الوضع القائم في القرية وقد أحاط بالشَّيْخ أصدقاءه وطلبته الذين برهنوا له عن وفائهم له لفضلهم العظيم عليهم بالسُّؤال عنه حين اعتزل داره وبمساندته في محنته ومساعدته على الرّحيل إلى مدينة العطف حماية له من شر انتقام باسعيد ضده وقد كانت العلاقة بين الذات الفاعلة، وموضوعها (الفاعل/الموضوع) مفعَّمة بشحنة و طاقة برزت من خلال رغبتها في تنفيذ مشروعها وتمثَّل المساعد في (بعض رفاق الشيخ، الطلبة، صديقه بحوص)، أمّا المعارض فتمثّل في (باسعيد وجماعته) ومنه تحدث وصلة بين الذات الفاعلة(الطلبة) وموضوع القيمة(ترحيل الشَّيْخ) للحفاظ على حياته وحبًا له وتكريما لعلمه وأخلاقه وهذا ما تمثله البنية الفاعلية التالية:

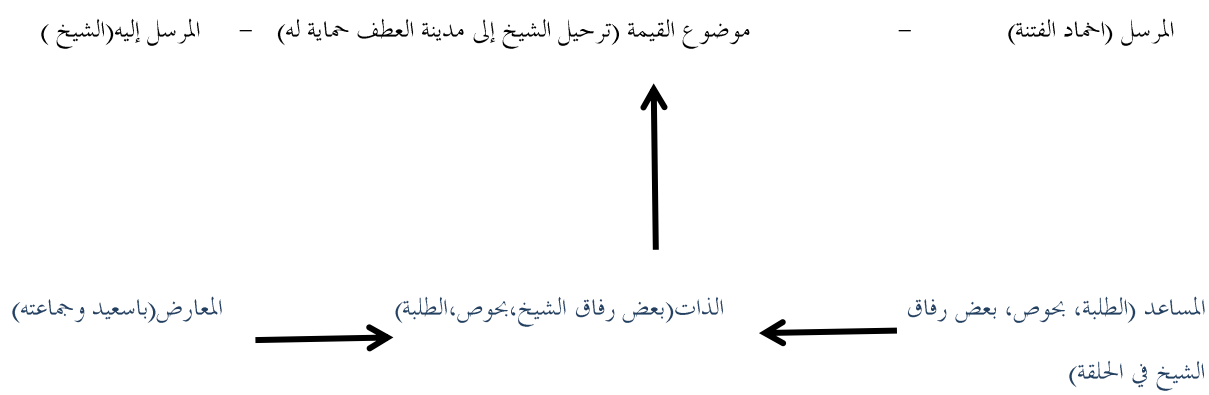

فنجد شبكة العلاقات التي تنسجانها عن طريق المربع السيميائي التالي فهناك علاقتا تناقض أشرنا إليهما من خلال خطين ممتدين ينتهيان بسهمين يصوران الاتجاه الذي تأخذه العلاقة. وهناك علاقتا استلزام أشرنا إليهما بخطين ينتهيان بسهم واحد يبين اتجاه العلاقة من خلال هذه الشبكة من العلاقات التي تنتج التركيب الدلالي الآتي، فإن استجابة الذات الفاعلة، في قيامها بموضوع القيمة، جعلتها تتمكن من تنفيذ مشروعها

والنجاح فيه، بإبطال نشوب فتنة أخري، إذا قُتل الشيخ ، وهذا بفضل المساعد، رغم وجود المعارض، لكنها تجاوزته بفضل حكمتها وإخلاصها لشيخها، وهذا ما يمثله المربع السيميائي التالي:

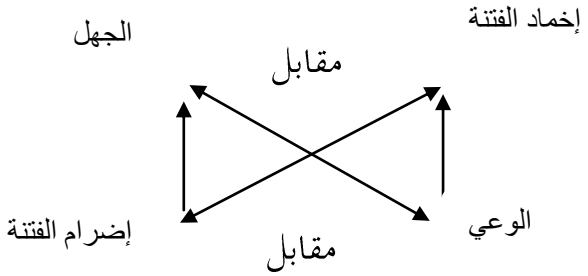

8-البنيات الفاعلية لندم باسعيد على تهديده للشيخ

فالمؤتى- المرسل - (الندم) وهي قيمة مجرَّدة محتواة في ذات الفاعل(باسعيد نوفوس) فهو ذات فاعلة ترغب في تحقيق مشروعها، وهو موضوع القيمة (الاعتراف بكفاءة الشيخ)، وقد كانت العلاقة بين الشيخ وموضوعه (الفاعل/الموضوع)مفعَّمة بشحنة و طاقة برزت من خلال رغبته في تنفيذ مشروعه، وتمثَّل المساعد في (اكتشاف حقيقة الشيخ)، وهي قيمة معنوية مجردة، وتمثّل المعارض في (الجمود) وهذا ما تمثله البنية الفاعلية:

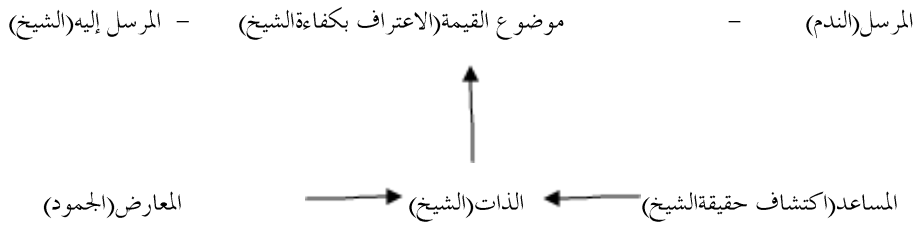

فنجد شبكة العلاقات التي تنسجها عن طريق المربع السيميائي، فهناك علاقتا تناقض أشرنا إليهما من خلال خطين ممتدين ينتهيان بسهمين يصوران الاتجاه الذي تأخذه العلاقة، وهناك علاقتا استلزام أشرنا إليهما بخطين ينتهيان بسهم واحد يبين اتجاه هذه العلاقة، ومن خلال هذه الشبكة من العلاقات التي تنتج التركيب الدلالي، فإن استجابة باسعيد في قيامه بموضوع القيمة، جعلته يتمكّن من تنفيذ مشروعه، فبعد أن تعقّب الشيخ ، وتتبّع خطاه حتى الصحراء، مات فرسه، ونفذ الماء من قربته، وهوى جثّة هامدة على رمال الصحراء، ينتظر

ساعة موته، والجوارح تتربّص به، وبعد لحظات يُقبل بحوص والشيخ، ليقفا إلى جانبه، ويُهوِّنا من محنته، وساعده على ذلك (اكتشاف حقيقة الشيخ)، وتجاوز سيطرة المعارض عليه، باعادة النظر، واسترجاع مواقف الشيخ المختلفة معه، والمتّسمة بالإحسان والنُّبل، وزمام أمره الحكمة والوعي، وآخرها موقف الشيخ معه في الصحراء، مع قدرته عليه، كل هذا جعله يعترف له بالكفاءة، ويعبّر عن ندمه الشديد من خلال دموع يذرفها، وهو بين الحياة والموت وهذا ما يمثله المربع السيميائي التالي:

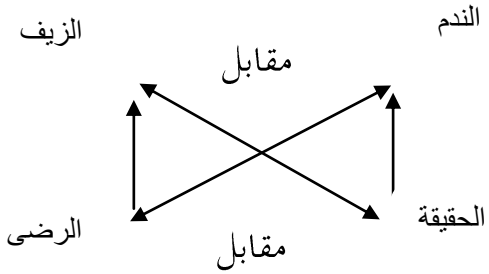

فمن خلال الأدوار الفاعلية المختلفة، وبنياتها العميقة، نجد أن الشيخ يُمثل نقطة مركزية تتقاطع عليه كل الأدوار العاملية، لتسهم كلها في تحقيق مشروع الشيخ الأوّلي الذي يُعد لبنة أساسية في الرواية ككل، وهو نشر الوعي والمعرفة، وتحقيق النموذج والمثال في نفسه، كما تُبرز هذه الأدوار الفاعلية علاقاته المختلفة، مع مختلف طبقات مجتمعه، وما نشأ عن ذلك من مساعد ومعارض، لنصل في الأخير إلى واقع المثقف في ذلك العهد.

نخلص في النّهاية إلى تحديد الثنائية الرئيسة المولِّدة للنَّص السردي والجامعة للثنائيات الدّلالية بمختلف تفرُّعاتها وفي ظنّنا ينبني النَّص على الثنائية التالية المعرفة/ الجهل، فالمرء يحظى بالاستقرار والسّعادة بمقدار ماينال ويظفر به من المعرفة والعلم، كما أن الشَّيْخ المجسّد لضمير الجماعة(الشّيوخ) لا يُضمر حقدًا ولاينوي التَّسفييه أو الحاق الضّرر بباسعيد نوفوس وإنّما همُّه ارساء معالم الصفاء والطُّهر وصداقة خالصة حيال باسعيد نوفوس مع اتقاء شرِّه تجنّبا لفتنة أخرى تهزُّ كيان القرية إذا أقدم على قتله فموقف الشَّيْخ من باسعيد أقرب للاتصال منه للانفصال فهذا السُّلوك المبني على محبة

الخير للآخرين يثري الجانب الاجتماعي ويشدُّ أواصر العلاقات الاجتماعية ويُساهم في الحفاظ على كيان القرية.

نلاحظ أنَّ البنية السّردية تبرز في البرامج السّردية، وأن موضوع القيمة، والمرسل والمرسل إليه والمساعد والمعارض يتغير ويتحوّل بتطور أحداث الرواية ومايطرأ في النّص السردي من تحولات.

تتسلل هذه البرامج في شكل متتاليات تلعب كلّ منها دورًا في تطوّر الرواية، وتساهم في خلق الحركية وبث الحيوية في حلقات بناء الرواية.

خاتمة

تعتبر رواية حديث الصمت إبداع مميز، وتشكّل نقطة بارزة في مسار فن الرواية في الجنوب، و تتميّز بكونها واحدة من الروايات القليلة و النادرة -لقلة الإنتاج- في منطقة الجنوب الجزائري، وقد استوعبت حقبة تاريخية من الزمن الغابر، فهي تبني زمانها الداخلي على أساس زمن خارجي قبيل استعمار الجزائر؛ وعهد الكتاتيب وتعالج التحولات الفردية والاجتماعية؛ خصوصا موضوعة المثقف، وصورته في منطقة الجنوب خصوصا، والمجتمع الجزائري عموما، في حقبة زمنية ماضية، والحدث فيها يعكس تطور الوعي الفردي والاجتماعي لشخصية المثقف، وتتفاعل مع واقع الصيرورة التاريخية، وثمة خصيصة تتمتع بها تتمثل في تركيزها على فئتين اجتماعيتين؛ و هي الفئة المثقفة، ويُمثلها الشيخ، الذي يُعتبر مرآة لرؤية الواقع الاجتماعي والثقافي، في ذلك العهد، والفئة المعاكسة التي تسترشد دربها من الأولى؛ أو تقف لها بالمرصاد على شكل معارض ومعيق لحركتها ودورها المنوط.

-إن الثقافة ظاهرة إنسانية؛ وأحد دعائم الحياة الاجتماعية، إذ لا تستقيم إلا بها، وهي مقياس للرقي الفكري والأدبي للفرد والجماعة، وتميز الإنسان عن غيره من المخلوقات، كما تميز المثقف من غيره من عامة الناس، وهو محور دراستنا الموسومة بالشخصية المثقفة المتمثلة في الشخصية المحورية لرواية حديث الصمت إذ يعرض البحث صورة عنها داخلية وخارجية و كذلك علاقاتها المختلفة بمجتمعها.

- إن الدراسات السابقة صورت مختلف أنماط- إن صح التعبير – الشخصية المثقفة تبعا لما تُصوره الرواية، إذ تعطي كل دراسة نموذجا مختلفا عن الآخر، في مظاهره ووظائفه، ولكنَّها تتفق معه في اتِّصافه بالوعي والمعرفة، على اختلاف أشكاله وأنماطه ومستوياته، وكذا عصوره المتباينة، وقد صوّرت الدراسات السابقة، الإنسان المثقف، في صور شتى، ولكنها تدور كلها في إطار صراعه، ضد كل ضروب الأميّة والجهل والحماقة، على مختلف صوره، ومواقفه المتباينة منها،ومايعتري دربه، وقد حظيت الشخصية المثقفة بالاهتمام من طرف الدارسن، لكونها تمثل الضمير الحي، والوعي

النابض للأمة، وهي تمثّل شريحة اجتماعية معينة، وتعكس إلى جانب ذلك تناقضات اجتماعية لجماعات عرفت وجودا تاريخيا في زمان ما، إذ تتموقع في فَيْء منه، و تعبِّر عنه، و تَخطُّ سيرتها، أو تكون صورة من نسيج خيال الكاتب وآماله ونظرته الخاصة.

- إن صورة الشخصية المثقفة في رواية حديث الصمت لا تبتعد كثيرا عن صورة الشخصية المثقفة في الدراسات السابقة من خلال واقعها و مشاكلها التي تتشابه فيها بينها، وإن اختلفت شكلا وحِدَّة، لاختلاف العصور، فالدراسات السابقة تمثّل العصر الحديث، أما رواية حديث الصمت فتُمثّل عصر عميق في القدم، عصر الكتاتيب، وقبيل الاستعمار الجزائري، كما أن صورة المثقف في الدراسات السابقة غَلبت عليها المثالب والعلل في جانبها الداخلي وسلوكها، أما الشخصية المثقفة في حديث الصمت؛ فقد امتازت بسمات إيجابية ومثالية إلى حد كبير في مظهرها الداخلي، ومن خـــلال رأيها النافذ، و حكمتها الفذة، وأخلاقها النبيلة، وتمتاز باستقرار نفسي ووجهة واضحة في الحياة، عكس الشخصية المثقفة في الدراسات السابقة، التي طغت عليها الآفات والعلل، وغلبت عليها سمة الانكسار وخيبة الأمل، فهذا التقارب بين الشخصية المثقفة، في رواية حديث الصمت، والدراسات السابقة، يؤكّد أن المثقف هو من يملك ثقافة ووعي، بغض النّظر عن نوعيتها و مجالاتها ومستوياتها، لاختلاف وتشعَّب زوايا نظر الأنام حيال الثقافة، وتباينها لتعدّد الأمم والشعوب، وتتمايزها لتعاقب العصور والأزمان.

- اتخذ الكاتب من الوصف وسيلة توضيحية لسمات ومواقف الشيخ المختلفة- محور دراستنا-، والتعبير عن مكنونات نفسه وسبر أغوارها، لفهمها وإدراك مغزاها، ولخدمة النص وصياغة معناه وتوجيهه، إلى جانب مساهمة الوصف في تزيين النص السردي ومنحه جاذبية خاصة.

-كان التركيز على الوصف الداخلي للشخصية المثقفة في حديث الصمت، أي حالتها النفسية و أهم قيمها فقد صبغ أوّل ظهور للشخصية المثقفة في ربوع الرواية وهذا أكثر من الوصف الخارجي-الزّي و الجسد- الذي لم يُصاحب أوّل ظهور للشخصية وإنّما كان في الوقت المناسب وبقدر الحاجة إليه وبما يخدم الجانب الداخلي ويُدعِّمه، فالوصف الخارجي

ركّز أكثر على موقفين، وصف مظهر الشيخ في قاعة الدرس وأمام طلبته، ليعطينا مزاياه وسماته، وليسفر عن طباعه وخلاله وليبرز مدى التّكامل بين مظهره ومخبره الذي يتجسّد من خلال حُسن معاملته لطلبته والناس وصدقه واخلاصه في توعيتهم وارشادهم ثم وصفه في رحلة خروجه من قريته مع رفيقه بحوص تجنبا لفتنة أخرى قد تصيب القرية إذ أقدم باسعيد على قتله، والسّفر محطة، أين يمحّص ويختبر الإنسان، ويظهر على حقيقة أمره، وهذا ما انكشف لصديقه بحوص الذي مدح سمات الشيخ النبيلة وأخلاقه الفاضلة واعترف له عدوه باسعيد نوفوس بالفضل والمكانة بعد أن تعقّب أثره في الصحراء ليفتك به لكن الشَّيْخ كان له نعم معين بعد قدرته عليه إذ هو مهدد بالموت متوسّدا رمال الصحراء، فالوصف الخارجي كان بمثابة جسر للولوج إلى كنه العالم الداخلي لشخصية الشيخ الذي ركّز عليه النص السردي، وهذا لقيمة الجانب الداخلي في حياة الإنسان- دون نكرانٍ لقيمة الجانب الخارجي منه .

- إن السّمات الخارجية للشخصية المثقفة- الجسم والزَّي- تتسم أكثر بالعلل والبساطة، أما الصفات الداخلية فمثالية إيجابية كلها، ربما لتوحي إلى أن قيمة الإنسان بخلاله وقيمه ومبادئه الكريمة، وأفعاله وانجازاته، لا بمظاهره التي لا تعطي صورة حقيقية عن شخصيته، إذ يعتريها كثيرا من الزَّيْف والتّصنُّع ، رغم مكانتها في حياة الإنسان.

ـ نجد في رواية حديث الصمت، ضآلة وصف شخصية الشيخ ونوعيتها، ومظهرها الخارجي والداخلي مقارنة بأدوارها المختلفة، وهذا مما تبرزه مكانته في مجتمعه و مساهماته النبيلة والمختلفة الاتجاهات و حتى مع الغرباء، إذ خلَّف نبله و تأثيره فيها، وفاءا، إذ جسَّد ذلك فارس من القبيلة المجاورة لقريته يدعى بحوص، إذ هرع للمرافقته حين عزم على السَّفر نحو مدينة العطف، ليحول دون اتساع رقعة الفتنة، واستفحال لهبها، وكان له نعم الرفيق والحصن، رغم خطورة السفر في الصحراء المهجورة، وبُعد الطريق وانتشار قُطَّاع الطرق، الذين يترقَّبون الفرص ليغنموا بالنَّهب والمباغتة، فهدا التركيز على أدوار الشيخ المختلفة في مجتمعه، ربَّما لأنه لا جدوى لثقافة ووعي يظلُّ ركاما مكدَّسا، بعيدا عن مجال تجسيده واقعـــا حيّا.

– نلاحظ أن وصف الشخصية، كان أكثر بصورة غير مباشرة بواسطة الحركة مثلا عن طريق حركة يده نحو رأسه ثم صوبها حيال أجزاء منها ...أو حركة مروحته التي استقرت بين أسنانه لتسفر عن مظهرها ... وكأنها صورة مرئية، وكذا حين انفعال الشخصية المثقفة بالغضب جراء إهمال طالب و قد أظهرت مزاجه مروحته التي تعدل حرارة الجو من حوله بحركتها السريعة عند الغضب وحركتها الوئيدة حين طمأنينته ورضاه مما تعطينا صورة حقيقية صادقة و حية للعيان.

– نجد أن الحوارات الداخلية أكثر من الخارجية، أي بين الشخصية المحورية الشيخ و نفسه و الموسومة بالتأمل في روعة الكون ، وهذا ربما راجع إلى طبيعة المثقف وما يُعانيه من جفاء من طرف مجتمعه ، كما يوحي إلى كونه وحيدا يعاني الغربة، في ظل ثقل رسالته السامية (فكرا وعملا) وقلة المساندين، وهذا ما كان بارزا في علاقة الشيخ مع وسطه،ومعاناته المختلفة إذ وصلت إلى حد التّهديد بالقتل من طرف المعارضين لمسيرته.

– إن الشَّيْخ لعب دورًا هامًا في رحاب الرواية وتحويل البرامج السردية التي نسجتها الرواية وقد وصفه الراوي بدقة بالغة مظهرًا ومخبرًا وكان مصب اهتمام الروائي ويظهر ذلك من خلال طغيان ضمير الغائب(هو) على كامل الرواية، قد يوحى ذلك إلى علاقة الضمير بالراوي ، لكون ضمير الغائب يفسح له المجال لتمرير أفكاره وآماله و حتى نظراته الخاصة، وقد يكون يعبّر عن سيرته الذاتية.

– إن الرواية تشكّل نظرة خاصة ووجهة نظر مميّزة عن غيرها من الروايات الأخرى فالراوي ركّز اهتمامه على نموذج خاص من المثقف يتميّز بسمات مثالية في علاقاته مع نفسه وغيره وفي أخلاقه، فهو يجسّد نموذج من الثقافة على رحابتها فهي ثقافة ايجابية مجسّدة للعلم النّافع ولخدمته وارشاد النّاس وهدايتهم للخير ثقافة فيها مصلحة الفرد والجماعة وتوعية العقل والفكر وتمييز الصواب والحق والسير في الحياة على هداية ورشاد.

– أعطى الكاتب فسحة عريضة لوصف البيئة الطبيعية للشيخ، وبدقة بالغة لكونها القالب الذي ينمو فيه الشيخ، وتحويه لكامل حياته، ويكتسب جلّ سماتها، إيجابا وسلبا، كما أن اختياره للفضاء الجغرافي للرواية عبارة عن قرية، ليُعطينا صورة عن معاناة الإنسان، وكونه

في الصّحراء، فهو يقاسي الظروف الطبيعية من جهة، وانعدام الأمن وتفشي الاعتداء والنّهب، من جهة أخرى، كما أنّه يُعطينا صورة عن العزلة النّسبية التي تكتنف القرية بحكم موقعها، ليُحيلنا إلى الصورة الشاملة لواقع المحور الأساسي للرواية، وهو التّقابل بين العلم والجهل، في مثل هذا الفضاء، ويبرز مدى تفاعل الناس معه، في ظل اللاستقرار دائم، إذ رغم كلّ ذلك تكيّفوا، وترعرع العلم بينهم وازدهر، والشيخ من أبرز نماذجه، إذ به ختمت الرواية، واعترف المعارض با سعيد بفضل الشّيخ الذي يُمثّل الوعي والمعرفة.

– إن اختيار الكاتب لشخصية مثقفة من عهد الكتاتيب و قبيل الاستعمار في الجزائر، ومنحها خصائص وسمات داخلية وخارجية مميزة، وكذا عرض محيطها الطبيعي القاسي وبدقة فائقة وكذا أدوارها المتعددة، و علاقاتها المختلفة، من محيطها الأسري، إلى علاقاته المختلفة بالمجتمع وحتّى بالقرى المجاورة لقريته وهذا ماقد يثير التّساؤُل التالي، ما علة اصطفاء الكاتب لهذا الطراز من المثقف، ولهذه البيئة والزّمن بالتّحديد؟ قد يرجع ربما إلى كونه يمثّل منتهى معانات المثقف، بداية من صعوبة الظروف الطبيعية الصحراوية القاسية، و التي وصفها بإسهاب، إلى صعوبة وقلة توفُّر المعارف في ذلك العهد، ومكابدة النفس والظروف القاسية لنيلها، إلى غالبية الفئة غير المثقفة وغير الواعية، وقلة المثقفة منها، والتي ترافق و تدعم وتقاسم مسار ومعاناة الشيخ في مسؤولياته، ومعاناته، حتى أنه صار مهددا بالقتل، فقط لأنه أبدى رأيه، وأطلق عنان حكمته وعلمه وهذا في ظل غياب فئات تحافظ على سلامة، وحياة الأشخاص، كما في عصرنا الحالي، أو تمنح له ضمانات مما تطفي عليه جوا من الطمأنينة و الاستقرار، ليُنتج ويظفر بالتفوق، ولكن الشيخ رغم ذلك أثبت كفاءته و جسدها واقعا حيا.

وفي الأخير نأمل ونحن نبلغ نهاية مطاف هذه الدراسة– التي حاولنا من خلالها أن نلِم بشتى محاور الموضوع أننا قدمنا نموذجا للمثقف من جهة، ومن جهة، أخرى كخطوة أوّلية في دراسة آثار منطقتنا– الجنوب الجزائري– والتي تعدّ جزءا من تراثنا الجزائري، المتراكم والثري، والذي يشكو قلة الاهتمام، بالمقابل لنده المشرقي، وإبرازه للواقع، ومحاولة الاستفادة من كنوزه المكنونة، لبلوغ مَصاف البلدان المتقدمة في المجال.

والشكر موصول دوما بالثناء، لكل من أثرى عقولنا، وأمدّنا بما يحقق لنا الظفر في مسارنا العلمي، داعين العلي القدير، لهم بالتوفيق والسداد.

ملخص البحث

يهدف البحث إلى عرض صورة الشخصية المحورية في رواية حديث الصمت لأحمد بن محمد بكلي والتي تحيل إلى المثقف، فالبحث هو محاولة التنقيب عن الدلالات التي أضفاها الروائي على الشخصية المحورية وهي البطل والمتمثل في الشيخ ومسيرته إذ اكتسب نصيبا من الثقافة بما توفر في زمانه من وسائل ومجالات لكون الرواية تنقل لنا مجتمعا ضاربا في الماضي فهو يمثل الشخصية المثقفة بما يحمله من وعي ومعارف على بساطتها، اكتسبها من خلال الكتاتيب، وكذا باعتبار المثقف من له رصيد من المعرفة مهما كان ضئيلا بغض النظر عن مصادره ومجالاته ومستوياته، وقد أعطاه الروائي سمات ومعالم مميزة وأوكل إليه أدوار ووظائف في مجتمعه كتكوين الطلبة وتعليمهم، وكذا إخماد الفتن، وصور مانجم عن هذه الوظائف من ردود أفعال بين مساند ومعارض، وعواقب إيجابية وسلبية.

فالبحث عرض للشخصية المحورية ودلالاتها وواقعها في رحاب المجتمع، فقد تتبّع حياته من صباه إلى بلوغه مكانة في مجتمعه وقريته الصغيرة الكائنة في رحاب الصحراء، كما صور لنا مدى بلوغه لأهدافه وتحقيقه لمشروعه السردي، ليعطينا صورة كاملة للمثقف قبيل الاستعمار الفرنسي للجزائر.

قائمة المصادر والمراجع:

- إبراهيم صحراوي ، تحليل الخطاب الأدبي دراسة تطبيقية، دار الآفاق الجزائر،ط1: 1999.
- أثير محسن الهاشمي، صورة المرأة بين السياب وأدونيس، عالم الكتب الحديث، إربد،الأردن- عمان، ط1، 2011.
- أحمد عبد اللطيف وحيد، علم النَّفس الاجتماعي، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان- الأردن، ط1: 2001.
- أحمد محمد بكلي، حديث الصمت، دار القصبة للنشر-الجزائر،(د.ط)، 2006.
- أمل محمود عبد القادر أبو عون، اللون وأبعاده في الجاهلي- عراء المعلقات نموذجا- أطروحة ماجستير، نابلس- فلسطين، 2003.
- أمين الزاوي، صورة المثقف في الرواية المغاربية المفهوم والممارسة، دار النشر راجعي، الجزائر- الجزائر، (د.ط)، (د.ت.ن).
- بسام القطوس، محاضرات الملتقى الوطني الثاني، السمياء والنص الأدبي، منشورات جامعة محمد خيضر بسكرة 2002.
- بيير داكو، تر: بوجابي محمد الشريف، الانتصارات المدهشة لعلم النفس، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة- الجزائر، (د.ط)، 2007.
- تشارلز داروين، تر، محمد عبد الستار الشيخلي، التعبير عن العواطف لدى الإنسان والحيوان، المنظمة العربية للترجمة، بيروت -لبنان، ط1: 2010.
- جواهر محمد الدّبوس، القاموس التربوي، مجلس النّشر العلميّ الكويت- الكويت،ط1، 2002.
- جمعية التراث لجنة البحث العلمي، معجم أعلام الإباضية، المطبعة العربية، غرداية الجزائر، ط1: 1420/ 1999، ج3.

*جوزيف كورتيس:

- سميائية اللغة،تر: جمال حضري، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط1: 1431/ 2010.
- مدخل إلى السميائية السردية والخطابية، تر: جمال حضري، منشورات الاختلاف، الجزائر- الجزائر، ط1: 1428/ 2007.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، دار لكتب العلمية بيروت- لبنان، مجلد2، ط1: 2003.
- رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع عمان- الأردن،ط1: 1427ه/ 2006م.
- سوزان عكاري، موسوعة الأسماء العربية ومعانيها، دار الفكر، بيروت- لبنان،(د.ط)، (د.ت.ن).
- السّيد أحمد الهاشميّ، القواعد الأساسية للغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (د.ط)،1354.
- شافية عبد اللاوي، التنظيمات الاجتماعية والدينية الميزابية في العصر الوسيط من القرن الخامس إلى القرن السابع الهجري(9م-11م)، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر السنة الجامعية1999- 2000.

- صالح عبد الله أبو بكر، القرارة من التأسيس إلى دخول الاستعمار الفرنسي، جمعية التراث، القرارة- غرداية، ط 1: 1631 – 1882.
- صبيحة عودة، جماليات السرد في الفن الروائي غسان كنفاني، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع عمان- الأردنط1: 1426/ 2006.
- صديقة معمر، شعرية الألوان في النَّص الشعري الجزائري المعاصر فترة (1988- 2007) أطروحة ماجستير 2009- 2010، جامعة نابلس- فلسطين. .
- الطاهر بن يحيى، تجربة في العشق للطاهر وطار، منشورات التبيين/ الجاحظية، الجزائر- الجزائر، (د.ط)، 2003.
- عبد الستار إبراهيم،الإنسان وعلم النّفس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د.ط)، 1985.
- عبد السَّلام الشاذلي، شخصية المثقف في الرِّواية العربية الحديثة بمصر (1834-1952)، ط1 : 2010.
- عبد اللطيف محفوظ، البناء والدلالة في الرواية، منشورات الاختلاف،الجزائر- الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت-لبنان، ط1: 1431/ 2010.
- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت-(د.ط)، 1998.
- عبد الله خمار، فن الكتابة تقنيات الوصف، دار الكتاب العربي للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، القبة-الجزائر، (د.ط)، 1998.
- عبدالله خمار ،فن الكتابة تقنيات الوصف، مكتبة ملتقى جامعة الملك فيصل وجامعة الدمام، httphttp://www.ckfu.org/vb/f71.
- عبد الله محمد الغضبيي، النَّص وإشكالية المعنى، لدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر- الجزائر، ط1،2009.
- الفيروز ابادي، تح: عبد الستَّار أحمد فراج، تاج العروس، وزارة الإعلام بالكويت- الكويت(د. ط)، 1971، ج9.
- فيليب هامون،تر سعيد بنكراد، سميولوجية الشخصيات الروائية، دار الكلام الرباط- المغرب،(د.ط)، 1990.
- القرادي، تح: يحيى بن بوهون حاج ا محمد ،رسالة في بعض أعراف وعادات وادي مزاب ، جمعية النهضة العطف غرداية- الجزائر، ط1: 2009.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، استانبول- تركيا، ط2: 1972، ج1.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004.
- مجموعة من المؤلفين، معجم مصطلحات الإباضية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط1: 1429/ 2008، ج2.
- محمد بن قاسم بوحجام، البعد الروحي لنظام حلقة العزابة، نشر جمعية التراث القرارة، غرداية- الجزائرط1: 2007.
- محمد الزبيدي، تح:عبد الصبور شاهين تاج العروس، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب،الكويت ط 1: 2001ج: 38.

- محمد مصطفى أبو شوارب و أحمد محمود المضري، قراءة الوعي الأدبي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الإسكندرية- مصر، (د.ط)، 2004.
- محمد الناصر، العجيمي، فن الخطاب السردي نظرية قريماس، الدار العربيةللكتاب، تونس، (د.ط)، 1991.
- معتز سيد عبد الله و عبد اللطيف محمد خليفة، علم النّفس الاجتماعي، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، (د.ط)، (د.ت.ن).
- مفقودة صالح، صورة المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2: 2009.
- ابن منظور، تح.عامر أحمد حيدر ، لسان العرب، ، دار الكتب العلميَّة، بيروت- لبنان، ط1: 2005، ج2.
- نفلة حسن أحمد، التحليل السميائي للفن الروائي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية- مصر، (د.ط)،2011
- ياسر خالد سلامة، نهى عيد أبو نويرة، النحو العربي الميسر، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن، ط1: 2005.

فهرس الموضوعات

مقدمة ب

تمهيد 4

المبحث الأول : دال ومدلول الشخصية المثقفة 9

1.1- دال الشخصية المثقفة 9

2.1- مدلول الشخصية المثقفة 17

المبحث الثاني:البناء الداخلي والخارجي للشخصيّة المثقفة. 27

1-البناءالخارجي للشخصيةالمثقفة 27

1.1 الرأس 27

2.1 الوجه 30

3.1 اليدان 31

4.1 القدمان 32

5.1 جلده الأسمر و هيئة جلوسه 32

6.1 الملابس 35

2- البناء الداخلي للشخصية المثقفة 39

1 البيئة 40

2 الأسرة 49

3 المدرسة 50

4 الحي 50

5 الذكاء 51

6 الثقافة 52

7 المزاج 55

8 الانفعالات 56

9 العواطف 57

المبحث الثالث: مستويات وصف الشخصية المثقفة، والأدوار الفاعلية المتصلة بها

1- البنيات الفاعلية للشيخ ونفسه 67

2- البنيات الفاعلية للشيخ ومجتمعه 69

3- البنيات الفاعلية للشيخ والشيوخ في مجتمعه 70

4- البنيات الفاعلية للشيخ ورفاقه في الحلقة 71

5- البنيات الفاعلية للشيخ وطلبته 72

6- البنيات الفاعلية لإرادة باسعيد قتل الشيخ 73

7-البنيات الفاعلية لترحيل الشيخ إلى قرية العطف 75

8-البنيات الفاعلية لندم باسعيد على تهديده للشيخ 76

خاتمة 79

ملخص البحث 85

فهرس المصادر والمراجع 86

فهرس الموضوعات 90